

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

Faculté des Sciences Sociales et Humaines



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محمد أولحاج

- البويرة -

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص فلسفة عامة

الحضور النتشوي في فلسفة مارتن هيدغر، العدمية نموذجاً

بإشراف الأستاذ:

- بايو راج

اعداد الطالبة:

- منصوري فاطمة الزهراء

السنة الدراسية 2025/2024



قسم الفلسفة

إذن بإيداع مذكرة التخرج بعد التصحيح

نحن الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة عن المذكرة

الأستاذ(ة) المشرف(ة): بايو راج

الأستاذ(ة) المناقش(ة): بعنون حدة

الأستاذ(ة) الرئيس(ة): مشتاق حياة

نأذن بإيداع مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعد تصحيحها

بعنوان: الحضور النسوي في فلسفة مارتل

هيدغر - العدمية - نموذج

و التي أعدها الطالب(ة): هيموري فاطمة الزهراء

و الطالب(ة): /

المسجل بكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ،ميدان: علوم اجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

الموسم الجامعي: 2024 - 2025

إمضاء رئيس(ة) اللجنة:

إمضاء المناقش(ة):

إمضاء المشرف(ة):

2025 30 جوان البويرة في

ID: za9fa2-197043

Certificat d'analyse de la similarité textuelle

- Nom du document: **الحمصور التينشوي في فلسفة هيدغر العدمية نموذجاً لمنصوري فاطمة الزهراء.pdf**
- Soumis par: **BANOUNE Hadda** Enseignant
- Date de soumission: **2025-06-11**



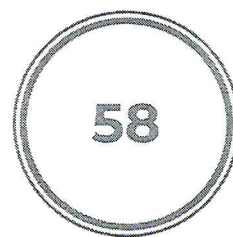
Taux global de similarité

- 6.1% Similarité Forte
- 0.0% Exclu manuellement



Nombre de sources

- 24 sources internet
- 12 sources Thèses-Algérie
- 0 sources dépôt privé



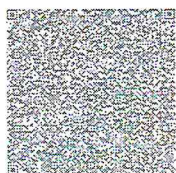
Passages surlignés

- 20177 mots
- 120697 caractères
- 22.7% de citations

Ce document est un certificat et résumé d'analyse et de détection de similarité textuelle qui peut être utilisé pour l'établissement d'un rapport de plagiat. Il revient à l'examineur, l'encadrant ou bien au comité déontologique de l'université ou de l'école d'émettre un avis quant au statut de plagiat du document analysé.

• Consultez l'arrêté N° 1082 du 27 Décembre 2020 fixant les règles relatives à la prévention et la lutte contre le plagiat pour en savoir plus concernant ce qui est considéré comme étant un acte de plagiat, les procédures ainsi que les sanctions.

Signature d'intégrité



Cachet et Signature



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى نفسي، إلى تلك الفتاة التي لم تأخذ الطريق السهل، التي مشت في دروب مليئة بالتحديات، تحملت صمت الأيام وثقل المسؤولية.

إلى من اختارت أن تؤمن بذاتها رغم الشكوك، إلى كل من نهضت كل مرة سقطت فيها، وعادت كل مرة ضاعت فيها.

أهديك هذا العمل اعترافاً بجهدك، واحتفالاً بقدرتك على التحمل والمضي قدماً. لقد كنت أكثر مما ظن البعض، وها أنت اليوم تضعين توقيعك على ثمرة نضج، لا مجرد ورقات علم.

إلى والدي الحبيين،

إلى كل من كانا ولا يزالان سندي في كل خطوة، اللذين زرعاً في نفسي حُب التفوق، وعلماني أن الطموح لا سقف له.

إلى أُمي: أنت المعنى الحقيقي للحنان والعطاء، ما كنت لأصل إلى هذا اليوم لولا لمسة يديك التي ربت على قلبي في صمت.

وإلى أبي: حضورك القوي، صبرك، ودفاء دعائك كان الحصن الذي احتميت به في كل عاصفة.

شكراً لكما، فهذه الصفحات ثمرة تعبكما كما هي ثمرة تعبي.

إلى إخوتي الأعزاء، فريال، محمد، أمين، عبد الرحمان.

أنتم الذين كنتم رفاق الرحلة، وفرح الأيام المزدحمة بالكّد، كنتم الضحكة التي تخفف عني، والنصائح التي تُعيدني إلى طريقي.

كنتم العائلة والصداقة والاحتواء. أهدىكم هذا العمل، عربون محبة واعتراف بدوركم الثمين في حياتي،

ففي كل صفحة منه ظل من ظلالكم، ولمسة من دعمكم، وامتداداً من حبكم.

وإلى روح جدتي الراحلة،

إلى طيبتك التي ما زالت تسكن قلبي، وابتسامتك التي لا تزال تُضيء ذاكرتي،

رحلت، لكنك لم تبتعدي... فأنا ما زلت اسمع كلماتك تهمس في قلبي،

هذا العمل إليك، يامن كان حضورك نوراً، وغيابك نوراً، وغيابك صمتاً لا يُحتمل.

رحمك الله وجعل هذا الجهد في ميزان حسناتك، وجعل روحك مطمئنة كما كنت دوماً مطمئنيني.

شكر

بكل مشاعر الامتنان والاعتزاز،

أجد من واجبي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان

لكل من ساندني وكان له أثر في إنجاز هذه المُذكرة،

علماً أو دعماً أو دعاءً .

أولاً، أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي المُشرف، (الأستاذ بايو رابح)،

على ما قدّمه لي من توجيه علمي دقيق، وصبر كريم، وتشجيع مُستمر،

فقد كان نوره الفكري دليلي في لحظات التردد، وملاحظاته البناءة كانت أساس تطوير هذا العمل، فله

مني كل التقدير والاحترام.

كما لا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم خلال سنوات التكوين،

فقد كان لكل واحد منهم بصمته التي ساهمت في تشكيل وعيي وتطوير ملكتي النقدية.

وإلى إدارة القسم، والمكتبات، وكل من ساهم في توفير البيئة الأكاديمية الملائمة، أُعبر عن بالغ

امتناني.

أما عن سندي الحقيقي، فكل الشكر والعرفان لوالديّ العزيزين، اللذين زرعاً في روح الطموح،

ومنحاني الثقة والدعاء في كل مراحل تعليمي، كان وجودهما نعمة لا تُقدر،

وتضحياتهما وقوداً لهذا الإنجاز.

ولا أنسى إخوتي الأعزاء، الذين كانوا خير داعم، بأحاديثهم المليئة بالتشجيع،

وصبرهم على انشغالي، واحتوائهم لي في كل الظروف.

لكل هؤلاء، ولكل من شاركني الطريق بكلمة أو ابتسامة

أقول: شكراً، من القلب.

مقدمة

مقدمة

تندرج هذه الدراسة ضمن أهم الإشكالات الفلسفية المطروحة في القرن العشرين، تلك التي تتعلق بنمط فكر فلسفي مختلف، فكر يفكر في ذاته وتاريخه من خلال تعدد القراءات والتأويلات للمتون الفلسفية الكبرى التي تؤسس العقل الغربي، ولم يكن ذلك ممكناً إلا من خلال قراءة فلاسفة كبار لفلاسفة كبار آخرين ينتمون إلى نفس الأفق الفلسفي أي الحداثة ونقد الحداثة، وها نحن نختار أهم قراءة فلسفية شغلت الكثير من الباحثين في الفلسفة المعاصرة، أنها تلك المتعلقة بقراءة الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر (*M, Heidegger*) للأستاذ الروحي فريدريك نيتشه (*F, Nietzsche*)، إننا نتكلم هنا عن حوار فلسفي بين عملاقين في الفلسفة الألمانية تسجل حضوراً مطلقاً للنيتشوية في التجديد الفلسفي الهيدغري أو ما يُعرف بالقراءة الهيدغرية لفكر نيتشه، وهي قراءة لا تسعى فقط إلى شرح أو تحليل أطروحات نيتشه المألوفة، بل إلى إعادة تأويلها وإنباتها من داخل الأفق الأنطولوجي الذي شيده هيدغر، لقد اعتبر هيدغر نيتشه "آخر الفلاسفة الميتافيزيقيين"، لا لأنه أغلق مشروع الفلسفة، بل لأنه دفع بالميتافيزيقا الغربية إلى نهايتها القصوى وطرح كل مكنوناتها التاريخية ومنها العدمية (*Nihilisme*)، ومن هذا الموقع، وجد هيدغر في العدمية النيتشوية ليس فقط ظاهرة تاريخية أَلَمَّتْ بالغرب، بل مؤشراً على نسيان أعمق للكينونة، كشف من خلاله عن التحول الجذري في مسار الفكر الغربي، وفي هذا السياق ظهر مارتن هيدغر، يرى في نيتشه كآخر قلاع الميتافيزيقا، أي من أنهى الميتافيزيقا بتطرفها الأقصى وأفسح المجال لفكر من نوع آخر، فكر خصب متحرر من الأصنام اللاهوتية والمعرفية والايثيقية، من هنا، لا يمكن فهم فكر هيدغر دون فحص التوتر الخفي والعميق بينه وبين نيتشه، ولا يمكن تقييم مشروعه دون إدراك كيف جعل من العدمية نموذجاً للفهم الجذري لأزمة الحضارة الغربية.

إن العدمية، كما تتجلى في هذه القراءة، لا تنحصر في فقدان القيم أو موت الإله كما اعتقد نيتشه، بل تكمن في هيمنة النظرة التقنية والأداتية للعالم، حوّلت الوجود إلى مجرد مورد

للاستعمال، هذه الرؤية التقنية تمثل الذروة الخطيرة للعدمية، أو الهالة العليا لها على حد تعبير هيدغر، حيث يُستبدل سؤال الكينونة بسؤال السيطرة والحساب، من هنا جاءت أهمية مساءلة حضور العدمية داخل فلسفة هيدغر من خلال بوابة نيتشه، إن هذا البحث يسعى إلى استكشاف هذا اللقاء بين العملاقين نيتشه وهيدغر، من خلال رصد الحضور النيتشوي داخل فلسفة هيدغر، خصوصاً حين تتقاطع مع مفهوم العدمية، وسنحاول أن نبين كيف أنّ هيدغر لم يكتف بتلقي فكر نيتشه بطريقة التلميذ السلبي، بل كيفية تجاوزه وإعادة تشكيله ضمن أفق أنطولوجي مختلف، حيث لا تكون العدمية مجرد مرض حضاري، بل عرضاً لمرض أعمق.

إن اختيار موضوع "الحضور النيتشوي في فلسفة مارتين هيدغر العدمية أنموذجاً" ليس من محض صدفة أو اختياراً عشوائياً، بل جاء نتيجة تقاطع دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، من جهة ينبع هذا الاختيار من اهتمامي الفلسفي بسؤال العدمية، وما يحمله من رهانات فكرية تمس معنى الحياة والكينونة الانسانية، وتضع الإنسان المعاصر أمام مرآة فقدان المعنى والقيم، وقد اتخذت قراءة نيتشه وهيدغر كل بطريقته، حيث بدا لنا أن العدمية ليست مجرد أزمة ثقافية مؤقتة في تاريخ الغرب بل لحظة ظهور جذري للميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون.

أما من الجهة الأسباب الموضوعية، فإن تواصل أثر نيتشه في فكر هيدغر، خصوصاً فيما يتعلق بمسألة العدمية، يُحدد أفقاً بحثياً ثرياً، يسمح بإعادة تحقيق العلاقة بين فلسفتين تُعدان من أكثر الفلسفات إشكالية وتدفقاً في الفكر المعاصر، حيث تُطرح العدمية عند نيتشه بوصفها أزمة للقيم ومآلاً لانهايار المثالية الأخلاقية، في المقابل يعيد هيدغر تأويلها على نحو أنطولوجي يصنع منها علامة على نسيان الكينونة، كما أن هذه القراءة ما تؤسس الفلسفات العدمية المتأخرة أو ما بعد حدثية، لأن القبض والتمكن من خيوط الفكر النيتشوي الهيدغري يعنى القبض على خيوط اللعبة الفلسفية المعاصرة على اختلاف مذاهبها، كما يخبرنا ليفيناس "أن التفلسف بغير دراية بفلسفة هيدغر يعنى ذلك ضرب من السذاجة"، ومن هنا فإن الغاية الأساسية من هذا البحث تتجسد في استكشاف كيفية حضور نيتشه في فكر هيدغر والبيان

عن التحول الذي يحدثه هذا الأخير في فهم العدمية المعاصرة، إن الانتقال من البعد الأكسيولوجي السيكولوجي وصولاً إلى بعد الأنطولوجي، محفوف بتعدد القراءات والتأويلات لذا كان الغرض من البحث هو عرض التوترات والثبات أو التواصل بين الفيلسوفين، من أجل الاشتراك في فهم أعمق للمصير الميتافيزيقي للغرب.

وعلى الرغم كم أن العلاقة بين نيتشه وهيدغر قد شغلت عدداً من الباحثين في الفكر العربي المعاصر على غرار الباحثة سعاد طيباوي بدراسة بعنوان نيتشه والعدمية، من التأويل الأنطولوجي الى التأويل الأكسيولوجي، إلا أن مثل هذه الدراسات لم تتناول جزئية العدمية بين نيتشه وهيدغر على حد علمنا، لذلك أخذنا على عاتقنا المغامرة في الخوض في مثل هذا الموضوع لسد النقص في المكتبة العربية المتعلقة بالدراسات العليا التي تطرح إشكال العدمية، كما أن أهمية البحث هذا تكمن في كونه يعيد فتح النقاش حول واحدة من أكثر العلاقات الفكرية تعقيداً في تاريخ الفلسفة الحديثة، علاقة هيدغر بنيتشه، لا بوصفها علاقة تبعية أو تأثير، بل بوصفها علاقة مواجهة بين مشروعين يحاول كل منهما إعادة تعريف الفكر والفلسفة، وهي مهارة فلسفة جديدة تعلمنا كيف نقرأ نصاً فلسفياً على ضوء نص فلسفي آخر ينتمي الى التراث، قصد استثماره في فهم الإشكالات الراهنة، وما احوجنا نحن العرب الى مثل هذه المهارة الفلسفة وطريقة التفكير التي تعنى بإعادة قراءة التراث.

أما عن أهداف هذا البحث فنختصرها كما يلي:

- تفكيك القراءة الهيدغيرية لفكر نيتشه، وبيان ما تحتفظ به من أطروحات نيتشوية، وما تتجاوزه نقدياً.

- تحليل مفهوم العدمية عند نيتشه، كما فهمه هيدغر، واعتباره عرضاً تاريخياً لنسيان الكينونة.

- رصد كيف يُعيد هيدغر بناء مفاهيم "الفكر"، "الفن"، و"الحقيقة" كردّ وجودي على العدمية.

-إبراز كيف يُعيد هيدغر التفكير في الإنسان، ليس عبر صورة الإنسان الأخير أو المتفوق بل كراعي للكينونة وكمستجيب لندائها.

-تقديم قراءة نسقية لمفهوم الخروج من العدمية في مشروع هيدغر المتأخر، سواء عبر الفن أو الشعر أو الفكر الآخر أو المغاير.

أما عن المنهج المُتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا المنهج التحليلي النقدي والمُقارن حيث قمنا بتحليل ونقد المفاهيم الكبرى المؤسسة للمُتون النيتشوية مثل: الميتافيزيقا، واللاهوت، المعرفة تلك المفاهيم التي تُؤسس معنى العدمية الأخلاقية (الأكسيولوجية) ومُقارنتها بالمفاهيم الهيدغرية التي تُعيد تأسيس العدمية وفق السياق الوجودي (الأنطولوجي) المُتعلق بتاريخ الغرب، والمُقارنة هنا مشروعة ولها أثر بالغ في فهم حيثيات الموضوع.

وعليه تتأسس الإشكالية العامة لهذا البحث على السؤال التالي: كيف قرأ هيدغر نيتشه في ضوء العدمية، وإلى أي مدى أعاد تشكيل مفهوم العدمية ضمن مشروعه الأنطولوجي؟

ومن هذه الإشكالية العامة، تتفرع التساؤلات التالية:

-ما هي مظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي كما فهمها نيتشه؟

-كيف تم تلقي هيدغر التصور النيتشوي فيما يتعلق بالعدمية؟

-ماهي مآلات العدمية وما السبيل للخروج منها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قمنا بتقسيم بحثنا الى ثلاث فصول، مقدمة وخاتمة، أما عن الفصل الأول: الذي جاء بعنوان نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي يتناول هذا الفصل السياق الفلسفي والتاريخي لظهور مفهوم العدمية عند نيتشه، وتحليل موقفه من الميتافيزيقا، والدين، والأخلاق، وصولاً إلى تشخيصه لموت القيم العليا التي تفضي الى العدمية، أما الفصل الثاني الذي تناول القراءة الهيدغرية للمتن النيتشوي خاصة في ما يتعلق بتصوير

الميتافيزيقا بوصفها نسيان للوجود ومسألة التقنية كآخر مظهر من مظاهر العدمية المعاصرة أما عن الفصل الثالث الذي جاء بعنوان دروب الخروج من قبضة العدمية، فقد تناول فيه مسألة الفكر كآخر ملاذ للانعتاق من العدمية إلى جانب الفن والقول الشعري باعتبارهما طرق لتذكر معنى الكينونة وتهيئة الأرض الموعودة لظهور الإله الأخير المتحرر من أهوال الميتافيزيقا والعدمية، بهذا الترتيب، يسعى هذا العمل إلى تقديم معالجة نسقية ومعقدة لمفهوم العدمية كما تشكل بين نيتشه وهيدغر، مع التركيز على أفق الخروج من العدمية عبر الفن، والشعر، والتفكير المختلف.

ما يُميّز هذا البحث عن غيره من الأعمال السابقة أنه لا يكتفي بمقارنة أو تحليل تأويلي، بل يسعى إلى تتبع العدمية بوصفها بؤرة فلسفية تفاعلية بين المشروعين لأنه درس العدمية ليس فقط في بعدها النقدي، بل كأفق أنطولوجي يُنتج تفكيرًا جديدًا، كما يربط بين مفاهيم الفكر، الفن، الشعر، والإنسان في مشروع هيدغر بوصفها ردًا على ما بدأه نيتشه ويُسلط الضوء على البعد الإبداعي للخروج من العدمية، بدل البعد التحليلي الصرف، لذلك تم الاعتماد في هذا البحث على مراجع أساسية أصيلة، وعلى ترجمات أكاديمية موثوقة، سواء في النصوص الأصلية لهيدغر ونيتشه، أو في الدراسات الشارحة لهما، نذكر منها:

أولاً: نصوص هيدغر: "أصل العمل الفني"، "ما الذي يُدعى تفكيرًا؟"، "مدخل إلى الميتافيزيقا"، "الفكر في عصر التقنية"، "رسالة في النزعة الإنسانية"، "ما الفلسفة؟"، "الكينونة والزمان"، "طرق هيدغر"، "إنشاد المنادى".

ثانيًا: نصوص نيتشه: "هكذا تكلم زرادشت"، "العلم المرح"، "إرادة القوة"، "ما وراء الخير والشر".

وهذا البحث لا يخلو من صعوبات وعوائق، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- اللغة الاصطلاحية الصعبة لهيدغر ونيتشه: فكلاهما يستخدم لغة تجريدية أحيانًا غامضة تتطلب تأويلًا دقيقًا بعيدًا عن الإسقاطات الجاهزة.

- كثرة التأويلات المتضاربة، خصوصًا فيما يتعلق بقراءة هيدغر لنييتشه.

- ندرة الدراسات العربية المتخصصة في الموضوع، خاصة تلك التي تجمع بين البعدين: النيتشوي والهيدغري داخل مقارنة واحدة.

- الانتقال من الفهم الأكسيولوجي إلى التأويل الأنطولوجي، ما يطرح تشابك في الفهم وتعدد القراءات، لذلك أُعتبر نيتشه بمثابة مفترق طرق ومرجعية للكثير من الفلسفات المعاصرة.

ورغم هذه الصعوبات، فإن الحافز المعرفي والرغبة في الاقتراب من فكرين بهذا العمق، شكّلا دافعًا للاستمرار والبحث والاستقصاء، لذا عملنا على تذليلها.

وبهذا يكون هذا البحث قد اختار المضي في درب فلسفي محفوف بالتعقيد والتحدي، لكنه أيضًا غني بالإمكانات: إمكان إعادة التفكير في العدمية، لا كمرض يجب تجاوزه، بل كأفق يجب فهمه، والعيش بداخله بما يسمح بولادة جديدة للمعنى، عبر الفن، الفكر.

الفصل الأول:

فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي
الغربي

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

تمهيد

لقد تعرض التراث الفلسفي الغربي إلى معاول النقد والتفكيك من قبل فريديريك نيتشه (1844-1900)، ذلك التراث الذي امتد قرابة الألفي سنة منذ الإغريق إلى فترة الحداثة، لكن نيتشه ينظر إليه بوصفه تاريخاً للعدمية الأوروبية، حيث تم إقصاء قيمة الحياة والمعنى الحقيقي لها واستبدالها بقيم بعيدة كل البعد عن الواقع.

لذا يعد الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه من أكثر الفلاسفة إثارة للجدل في الفلسفة الغربية المعاصرة بسبب نقضه للموروثات والقوالب الفكرية والفلسفية السابقة، يظهر ذلك بشكل جلي في قوله: (ما يثير المرء ويحثه على النظر إلى الفلسفة جميعاً بنصف ارتياب ونصف تهكم، لا يعود إلى الاكتشاف المتكرر لعظيم براءاتهم . لكثير خطأهم وظلالهم ويسيرهما، وباختصار لطيشهم وصبيانيتهم).¹ فهذا حكم على فلسفاتهم بالخطأ و زاد على ذلك بالتهكم و السخرية من ذواتهم، ولعل أهم دافع لنقض فلسفاتهم و توجيه انتقادات شديدة اللهجة إلى عموم مباحثهم هو توجه نيتشه إلى تجاوز المفاهيم والقيم المتوارثة التي تركز للانهازامية والضعف في نظره فكانت علامة على الطريق في مساره التصحيحي بدحض الأفكار القديمة ومن ثم تغييرها بأخرى تهدف إلى الرقي بالإنسان، تمثلت جهوده في توجيه انتقادات إلى عموم التراث اللاهوتي و الفلسفي الغربي، حيث طرح أفكاراً نقدية جذرية طالت مختلف جوانب الفكر الغربي، من الأخلاق والدين والمعرفة.

يعتبر مفهوم العدمية أحد المفاهيم الأساسية في فلسفته، إذ رأى أن الحضارة الغربية كانت تنتج حالة من فقدان المعنى والقيم، بسبب تفكك الأسس التقليدية التي استندت إليها الفلسفة والدين والأخلاق، وفي هذا الفصل سنتناول مظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي من خلال

¹ - فريديريش نيتشه، ما وراء الخير والشر، ترجمة جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003،

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

تحليل نقد نيتشه للتراتبية الأخلاقية، واللاهوت المسيحي، ونموذج المعرفة العلمية، لذلك يخبرنا نيتشه أن العدمية تجلت في صيغ أساسية ثلاث.

المبحث الأول: نقد التراتبية الأخلاقية بوصفها عدمية.

يمكن تعريف التراتبية الأخلاقية من حيث الاصطلاح، إذ تعني إعادة ترتيب الأخلاق بناءً على مفهومي الخير والشر وهو ترتيب أخلاقي ورثاه عن الفلسفة الايتيقية الاغريقية، ولكن نيتشه له رأي آخر ذلك من خلال محاولته الجسورة لقلب تلك التراتبية رأساً على عقب، حيث منظوري الخير والشر يقام على أساس الضعف والقوة لا على المفهوم التقليدي المثالي، وقد وجه نيتشه نقدين متمايزين الى المفاهيم الأخلاقية التقليدية، وعلى القيم الموضوعية للأخلاق وخلص إلى أنها ليست ثابتة أي أنها متغيرة يعني بذلك أن ما يكون خيراً في سياق معين قد يكون شراً في سياق آخر، مما يعني إعادة ترتيب أفضليتها على بعض، وفق ما يخدم الأطر العامة لفلسفته التي تحدد معايير الأخلاق بناءً على معياري القوة والضعف، وقد وضع معياراً فيه أن كل الأخلاق التي تدور في فلك المنع هي من الظلم والاستبداد، (إن كل أخلاق هي، على العكس الدّعه يمر"، نوع من الاستبداد بـ "الطبيعة" و"العقل" أيضاً)،¹ لذلك قد صنف نيتشه الأخلاق إلى نوعين متناقضين:

أخلاق السادة: يسمي نيتشه الأخلاق باسم من يتميز بها وهم السادة وهي القوة والاستقلالية والعزة والنبل، يقول نيتشه بياناً لمعنى النبل عنده، إن الثلة النبيلة كانت في البدء ودائماً ثلة من البرابرة: يمكن تفوقها لا في القوة الجسدية بالدرجة الأولى بل في القوة النفسية، -كانوا البشر الأكمل (مما يعني أيضاً انهم "الوحوش الأكمل" كل شيء)².

¹ - فريديريش نيتشه، ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 130.

² - المصدر نفسه، ص 244.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

أخلاق العبيد: هذا المفهوم الفلسفي قد شاع في فلسفة نيتشه هو على النقيض تماماً من المفهوم السابق وهي أخلاق الذل و الخضوع و الهوان، يصف نيتشه بعض أحوال هؤلاء فيقول: أن يصير العجز الذي لا ينتقم "طيبة"، والضعة الرعديدية "خشوعاً"، والخضوع للذين بنا لهم كره "طاعة" (وعلى الأخص لواحد يقال عنه إنه يأمر بذا الخضوع، _ يسمونه رباً)¹.

لطالما كانت الأخلاق محورا أساسيا في الفلسفة الغربية، حيث سعت إلى تحديد القيم والمبادئ التي تحكم سلوك الإنسان غير أن نيتشه* قام بنقد جذري لهذا التراث الأخلاقي، معتبرا أن الأخلاق التقليدية ليست سوى وسيلة لفرض الهيمنة والسيطرة من قبل الضعفاء على الأقوياء، حيث يصفها بأنها "أخلاق العبيد" التي تعزز قيم الخضوع والتواضع بدلا من القوة والابداع².

(أما النتيجة الأخلاقية المباشرة لهذا التحول المفهومي الخفي فهو إنتاج "الإنسان الحديث": هذا الكائن المشوه الذي لم يعد يستطيع أن يكون لا سيّدا ولا عبدا)³.

¹ -فريديريش نيتشه، في جينالوجيا الأخلاق، ترجمه وقدم له فتحي المسكيني، مراجعة محمد محجوب، منشورات دار سيناترا، ط1، تونس، 2010، ص70.

*-فريديريك نيتشه: ولد فريديريك غوليوم-نيتشه عام 1844، في بيت كاهن رعية روكن، في إحدى مناطق تورينجالتى جرى ضمها الى بروسيا. كانت العائلة عائلة قساوسة لوثرين، سواء لجهة الأم أو لجهة الأب. ولقد توفي الأب عام 1849، وكان رجلاً مرهفًا ومتقفاً، أما وفاته كانت بسبب استلاثة للدماغ، أو التهاب في الدماغ أو إصابة بالنقطة، نشأ نيتشه في نومبورغ، في وسط أنثوي، مع أخته الصغرة إليزابيت، كان ولداً خارقاً، وقد جرى الإحتفاظ بفروض الإنشاء التي كان يكتبها، وبمحاولاته في التأليف الموسيقى، درس في بفورتا، ثم في بون وفي لايبزيغ، اختار فقه اللغة مفضلاً إياه على اللاهوت لكن الفلسفة كانت قد بدأت تفتته، مع صورة شوبنهاور، المفكر المتوحد، "المفكر الخاص". إن أعمال نيتشه في فقه اللغة (تيوجينيس، سيمونيدس، ديوجينيس-لايبرس)، أدت إلى تعيينه منذ عام 1869، أستاذاً لفقه اللغة في بال(انظر كتاب جيل دولوز، نيتشه، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1418هـ-1998م ص5-6).

² -فريديريش نيتشه، في جينالوجيا الأخلاق، مصدر سابق، ص10.

³ -المصدر نفسه، ص10.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

وقد ركز نقده بشكل خاص على الأخلاق المسيحية والأخلاق الكانطية، باعتبارهما نموذجين للتراتبية الأخلاقية التي أراد تقويضها، يرى نيتشه أن الفلسفة الأخلاقية التقليدية قائمة على أوهام متجذرة في الوعي الجماعي، وأن تجاوزها يتطلب تفكيكا جذريا لمفاهيم الخير والشر، وإحلال قيم جديدة تقوم على القوة والإبداع بدلا من التضحية والخضوع¹.

(الأعراق النبيلة، هي تلك التي تركت مفهوم "البربري" على جميع آثارها أينما ذهب؛ (...)"جرأة"، الأعراق النبيلة وهي لعمرى جرأة مجنونة، عابثة خاطفة، كما تعبر عن نفسها، وما لا يتوقعوا ما لا يصدق فيما تأتي من أفعال جسام)².

في تحليله لأخلاق العبيد وأخلاق السادة، يرى نيتشه أن "الضعفاء ابتكروا الأخلاق لجعل الأقوياء يشعرون بالذنب اتجاه قوتهم"، وهو ما دفعه إلى المطالبة بإعادة تقييم جميع القيم، وخلق نظام أخلاقي جديد يقوم على إرادة القوة، وهي الفكرة التي كانت جوهر فلسفته الأخلاقية³.

(إن كون المفكرين الأوروبيين قد فكروا، عبر آلاف السنين، للبرهنة على شيء ما وحسب... هذا الطغيان، هذا التعسف، هذا الغباء الصارم والبديع، هو الذي ربي الروح، فالعبودية، غليظة كانت أم لطيفة، هي، على ما يبدو، الوسيلة التي لا غنى عنها لتأديب الروح وتربيته أيضا)⁴. يتطرق نيتشه إلى العدمية كنقطة محورية في إعادة بناء منظومة القيم، مشيرا إلى أن "موت الإله" هو اللحظة التي تتطلب من الإنسان أن يعيد ابتكار قيمه بنفسه، بدلا من الاتكال على نظم أخلاقية جاهزة⁵.

¹ - فريديريش نيتشه، في جينالوجيا الأخلاق مصدر سابق ص 10

² - المصدر نفسه، ص 11.

³ - المصدر نفسه، ص 11.

⁴ - فريديريش نيتشه، ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 132.

⁵ - فريديريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة وتقديم حسان بورقية - محمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1993، ص 132.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

(مات الإله! [و] يظل الإله ميتاً! و نحن الذين قتلناه! كيف سنعزي أنفسنا نحن أكبر القتلة؟... أي ماء سيظهرنا؟ أية مراسيم تكفيرية... يجب علينا أن نبتكر؟)¹.

كما يدعم ميشال فوكو هذه الرؤية حيث يؤكد أن الاخلاق ليست سوى شكل من اشكال السلطة، تتحكم في الافراد وتعيد إنتاج الهياكل الاجتماعية نفسها².

حيث يقول: «لزم من طويل، كان حق الحياة والموت أحد الامتيازات المميزة للسلطة المطلقة»³.

يرى نيتشه أن الأخلاق المسيحية ليست سوى أخلاق العبيد التي تمجد قيم التواضع، الإيثار، والخضوع، على حساب القوة والإرادة، في كتابه عدو المسيح، يصف الأخلاق المسيحية بأنها "انحطاط أخلاقي"، حيث تقوم على كبح الغرائز الطبيعية وإعلاء قيم الزهد والمعاناة⁴. هذه القيم ليست سوى آليات لفرض الضعفاء على الأقوياء عبر تحويل القوة إلى خطيئة والضعف إلى فضيلة⁵.

لقد تمكنت المسيحية من تحويل قيم الضعف إلى قوة، حيث تمجد أخلاق الرحمة والتواضع، لكنها في الواقع ليست سوى تمويه لأخلاق العبودية التي تحاول الانتقام من الأقوياء، فالأقوياء يتم إضعافهم عبر إيهامهم بأن أخلاق العبيد هي الفضيلة، بينما في الحقيقة هي ليست سوى وسيلة للهيمنة على إرادتهم وأضعافها، لهذا السبب، فإن المسيحية، كما هي ممثلة في أخلاقها ليست سوى معارضة للحياة، رفض للقوة، واحتقار للإرادة الحرة.

¹ - فريديريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق ص132.

² - ميشال فوكو، إرادة المعرفة، ترجمة جورج ابي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993، ص138.

³ - المرجع نفسه، ص138.

⁴ - فريديريك نيتشه، إرادة القوة، ترجمة وتقديم محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2011، ص73.

⁵ - المرجع نفسه، ص73.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

(إلى حيثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيين فإن حكم القوة يصبح مقلوباً، ومفاهيم ((الحقيقي)) و((الزائف)) تغدو حتماً واقفة على رأسها. ما هو أكثر إساءة للحياة يُدعى هنا بالحق، والذي يعليها ويسمو بها ويثبتها ويبرئها ويجعلها منتصرة يدعى باطلاً...)¹.

هذا الاقتباس يتبنى موقفاً نقدياً حاداً اتجاه تأثير الفكر اللاهوتي على القيم والمعايير الاجتماعية، ويتمشى مع رؤية نيتشه الذي اعتبر أن الأديان وخصوصاً المسيحية تقلب القيم الطبيعية رأساً على عقب، فبدلاً من الاحتفاء بما يعزز الحياة مثل القوة، والتأكيد على الذات، والإرادة يرى نيتشه أن الفكر اللاهوتي يمجّد القيم التي تضعف الحياة مثل التواضع المفرط، والخضوع، وإنكار الذات.

من وجهة نظره، فإن اللاهوتيين يعيدون تعريف "الحق" بطريقة تخدم أهدافهم مما يؤدي إلى تحريف الواقع الطبيعي للحياة. ووفقاً لهذا المنطلق، فإن كل ما يعزز الإرادة نحو القوة يُدان باعتباره باطلاً أو شريراً، بينما يُمجّد ما يُضعف الحياة باعتباره خيراً وحقاً، هذه الفكرة هي جزء من مشروع نيتشه في "قلب القيم"، حيث يدعو إلى إعادة تقييم الأخلاق التقليدية التي يراها معيقة للتطور الانساني².

يرى نيتشه أن التاريخ شهد انقلاباً جذرياً في نظام القيم، حيث تم استبدال أخلاق السادة التي تقوم على القوة والفخر والشجاعة، بأخلاق العبيد التي تمجّد الخضوع والضعف، هذا التحول حدث نتيجة استياء الطبقات الضعيفة، والتي لم تستطع فرض سيطرتها على العالم بالقوة، فلجأت إلى خلق منظومة قيمية تعطيها الأفضلية الأخلاقية، نيتشه يصف هذه الظاهرة بأنها "انتقام العبيد" من السادة، حيث تحول كل ما كان يُعد نبيلاً وقوياً إلى شر، وكل ما كان

¹ -فريديريك نيتشه، **عدو المسيح**، ترجمة جورج ميخائيل ديب، ط2، ص37.

² -المصدر نفسه، ص38-39.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

ضعيفاً وخائفاً إلى خير¹. وهذا بالضبط ما يعتبره نيتشه تاريخاً للعدمية بوصفها تاريخاً لانحطاط القيم الحقيقية وسيادة قيم الضعفاء.

يرى نيتشه أن انهيار القيم الارستقراطية القائمة على القوة والفخر أدى إلى ظهور اخلاق العبيد، التي تمجد الخضوع والتواضع كفضائل هنا يمكننا الربط بين هذا وبين انهيار "المراتب القديمة" وفقاً ما عبر عنه ماكس فيبر (لقد عملت الحرية الحديثة على هدم المراتب القديمة التي اكدتها النظرة الدينية إلى العالم، من هنا أصبح الوجود الإنساني لا معنى له فعلياً خارج التجربة الذاتية والميزة الحوارية الأساسية، أي خارج الرابطة التي تقوم بين الأنا والآخر)².

الاقتباس يعكس مرحلة من العدمية النيتشوية حيث انهارت القيم التقليدية، مما جعل الإنسان مواجهة فراغ قيمي، لكنه يقترح أن الحل يكمن في التجربة الذاتية والحوار، بينما نيتشه يرى أن الحل يكون في تجاوز العدمية عبر إرادة القوة وخلق قيم جديدة بدلاً من العودة إلى الاعتماد على الآخر³.

لقد أثرت رؤية نيتشه في العديد من الفلاسفة المعاصرين، مثل فوكو ودريدا، الذين رؤوا أن الأخلاق ليست سوى أنظمة للسلطة. فوكو، على سبيل المثال يؤكد أن الأخلاق ليست محايدة، بل هي أداة تستخدم لإعادة إنتاج الهياكل الاجتماعية القائمة، وبالتالي فإن نقد نيتشه يفتح الباب أمام مساءلة القيم السائدة وإعادة النظر في مفاهيم مثل العدل والمساواة⁴.

يعتبر نيتشه أحد أبرز المفكرين الذين انتقدوا الفلسفات الأخلاقية التي تروج للأخلاق الموضوعية والميتافيزيقية، ومن بينها الأخلاق الكانطية، في نقده لفلسفة كانط، يهاجم نيتشه

¹ - فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مصدر سابق، ص ص 260-269.

² -بغوره الزاوي، ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، كانون الثاني (يناير)، 2009، ص65.

³ -المرجع نفسه، ص65.

⁴ - أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص112-120.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

بشكل خاص مفهوم الواجب المطلق الذي يُعد من الأسس الرئيسية لفلسفته الأخلاقية، بالنسبة لـ نيتشه، فإن هذا المبدأ الذي يفرض على الإنسان التزاماً أخلاقياً عالمياً وغير قابل للتفاوض، يعتبر ضرباً من العبودية الفكرية التي تحد من حرية الفرد وتمنعه من بناء قيمه الخاصة، ويرى نيتشه أن هذا الموقف يتعارض مع فكرة الإرادة الفردية و يُضعف قدرة الفرد على تحديد قيمه الشخصية وفقاً لتجربته واحتياجاته.

وفي كتابه إرادة القوة، يكتب نيتشه قائلاً: (ليس هناك إلا مقاصد وأفعال لا أخلاقية)¹ في هذا الاقتباس، يعكس نيتشه رفضه لفكرة الأفعال الأخلاقية كما يُنظر إليها تقليدياً، يرى أن التصنيفات الأخلاقية مثل "الأخلاقي" و"اللاأخلاقي" ليست سوى أوهام نشأت عن سوء فهم نفسي، حيث ينتقد نيتشه أي محاولة لفرض معيار أخلاقي شامل، معتبراً أن الأخلاق التقليدية ليست سوى أدوات للسيطرة على الإرادة البشرية، كما يعارض تصور كانط للأخلاق باعتبارها قائمة على مبدأ عقلي مجرد، إذ يرى أن مثل هذه المحاولات في هذا الاقتباس، يعكس نيتشه رفضه لفكرة الأفعال الأخلاقية كما يُنظر إليها تقليدياً، يرى أن التصنيفات الأخلاقية تُقيد التنوع الطبيعي للفرد و إرادته الحرة².

كذلك يؤكد نيتشه أن الأخلاق الكانطية تتجاهل الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على القيم الأخلاقية، (الدولة أو اللا أخلاقية المنظمة في الداخل تتخذ شكل الشرطة، والقانون الجنائي، والطائفة، والتجارة، والعائلة، وفي الخارج تظهر كإرادة للقوة، والحرب، والغزو، والانتقام)³.

هذه الفكرة تُشير إلى أن الأخلاق عند نيتشه ليست مطلقة أو ثابتة كما يعتقد كانط، بل هي نتاج الظروف التاريخية والثقافية التي تحددها الإرادة الجماعية للأفراد والمجتمعات.

¹—فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مصدر سابق، ص274.

²—المصدر نفسه، ص274.

³—المصدر نفسه، ص260.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

في نفس السياق، يرى أحمد عطية في كتاب نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، أن الأخلاق الكانطية تدعي أنها تحمل طابعاً كونياً، بينما في الحقيقة هي مجموعة من المبادئ التي لا تعكس الواقع البشري (فالعجز الذي لا يلجأ إلى الثأر يتحول عن طريق الكذب إلى صلاح وخيرية، والجن إلى "تواضع" والإنقياد لمن يبغضون "طاعة" والرضى "صبراً" بل فضل "العجز عن الإنتقام" يتحول إلى رغبة عنه بل إلى صفح عن الإساءة)¹.

يطرح نيتشه فكرة جوهرية في فلسفته الأخلاقية، وهي أن الضعف الحقيقي لا يكمن في غياب الأخلاق، بل في العجز عن مواجهة الغرائز القوية وتوجيهها، يرى نيتشه أن الفرد الذي يخشى لا أخلاقيته هو شخص ضعيف لأنه لم يصل إلى مرحلة من القوة تمكنه من استيعاب غرائزه واستخدامها بشكل خلاق، هذا ما يتناسب مع مفهومه عن إرادة القوة التي يرى فيها محركاً أساسياً للحياة وليس الأخلاق التقليدية.

كما يضيف نيتشه في كتابه إرادة القوة (يجب تسليط الضوء على الأسماء الحقيقية للغرائز العاملة في هذا الميدان، ورد الاعتبار لها بعد ما ظلت لمدة طويلة مخفية وراء أسماء فضيلة منافقة بدافع الحياء من "ولاء" المرء الذي يتحدث دائماً بصوت ملحاح، يجب عليه أن ينسى الحياء الذي يريد إنكار الغرائز الطبيعية. يمكن تقييم مقدار القوة حسب درجة قدرتنا على التخلص من الفضيلة)².

نيتشه يدعو هنا إلى تجاوز الأخلاق التي يراها محكومة بتصورات عقلية ثابتة، مثل الأخلاق الكانطية، ويؤكد على ضرورة أن يكون لدى الفرد القدرة على بناء نظامه الأخلاقي الخاص الذي يعبر عن إرادته الحرة.

¹— أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 309.

²— فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مصدر سابق، ص 323.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

العدمية عند نيتشه لا تعني غياب القيم بقدر ما تعني انهيار القيم التقليدية وضرورة خلق قيم جديدة أكثر انسجاماً مع طبيعة الإنسان¹، يرى نيتشه أن العدمية هي النتيجة الحتمية لسقوط المعتقدات المطلقة التي رسختها الميتافيزيقا الغربية، وخاصة الأخلاق المسيحية والأخلاق الكانطية، فمن تراجع الإيمان بالحقيقة المطلقة ومع إدراك الإنسان أن القيم التي كانت تعتبر مقدسة ليست سوى نتاج تاريخي، يصبح من الضروري إعادة بناء منظومة القيم على أسس جديدة تعتمد على إرادة القوة.

العدمية ليست نهاية، بل بداية، إنها اللحظة التي ندرك فيها أن القيم التي استندت إليها الأخلاق التقليدية قد فقدت مبرراتها، أن كل مفهوم للخير والشر لم يكن سوى تعبير عن صراع القوى، وأن العالم بحاجة إلى إعادة بناء قيمه بعيداً عن الأوهام الدينية والفلسفية التي حكمتها طويلاً، فالإنسان الذي يتجاوز العدمية لا يسقط في الفراغ، بل يتحرر لخلق قيمه الخاصة، بعيداً عن كل القيود التي فرضتها العقائد الميتافيزيقية².

إن العدمية هي الإعلان عن الإفلاس التام لكل الأخلاق التقليدية، هي الاعتراف بأن القيم التي حكمت البشر لم تكن سوى وهماً طويلاً الأمد، خدعة استخدمت للسيطرة على إرادة الأفراد، ولكن انهيار هذه القيم ليست مدعاة للخوف، بل فرصة لإعادة ابتكار الحياة على أسس جديدة، الإنسان الأعلى هو وحده القادر على تجاوز هذه العدمية، لأنه يمتلك الشجاعة لخلق القيم بنفسه³.

يرى نيتشه أن تجاوز العدمية يتمثل في ظهور الإنسان الأعلى (*ubermensch*)، وهو الكائن الذي لا يحتاج إلى القيم التقليدية ليحدد وجوده، بل يخلق قيمه بنفسه وفقاً لإرادته وإبداعه، الإنسان الأعلى لا يخضع لأي مبدأ خارجي، ولا يبحث عن الحقيقة المطلقة، بل

¹ -فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مصدر سابق، ص323.

² -فريدريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، مصدر سابق، ص 325-339.

³ -فريدريك نيتشه، عدو المسيح، مصدر سابق، ص50-70.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

يدرك أن الحياة نفسها هي القيمة العليا، وأن القوة والإبداع هما الأساسان اللذان يجب أن تقوم عليهما الأخلاق الجديدة¹.

ما يراه نيتشه في العدمية ليس فقط انهيار القيم، بل هو كشف جذري عن طبيعة الفكر الغربي بأكمله، العدمية عنده ليست مجرد إنكار للأخلاق، بل هي المآل الحتمي لكل ميتافيزيقا تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة²، لكن نيتشه يرفض هذا المفهوم بشدة، حيث يرى أن كل ما نعتبره حقيقة مطلقة أو جوهرًا مستقلاً للأشياء هو في الحقيقة مجرد إسقاطات ذهنية صنعناها الأديان والفلسفات التقليدية، وليس لها وجود موضوعي حقيقي³.

في هذا السياق فإن زوال "الموضوع في ذاته" كما تشير الجملة في الصورة يعني انهيار فكرة الجوهر المطلق أو الحقيقة المستقلة، مما يتماشى مع أطروحة نيتشه حول انهيار الميتافيزيقا الغربية ككل، لقد أثرت رؤية نيتشه للعدمية بشكل كبير على الفكر الفلسفي في القرن العشرين و ما بعده، حيث أصبحت فكرة انهيار القيم التقليدية نقطة محورية في فلسفات ما بعد الحداثة، ميشال فوكو، على سبيل المثال، يرى أن نيتشه هو الفيلسوف الذي كشف عن آليات السلطة الكامنة في الأخلاق، حيث أن القيم ليست سوى أدوات يستخدمها الأقوياء للهيمنة على الضعفاء⁴.

لا ينظر نيتشه إلى العدمية باعتبارها أزمة، بل يراها مرحلة ضرورية لولادة قيم جديدة، فبمجرد أن يدرك الإنسان زيف القيم المطلقة، يصبح قادراً على خلق قيمه الخاصة التي تتماشى مع إرادة القوة والإبداع، ولهذا، فإن العدمية ليست إعلاناً عن نهاية الأخلاق، بل هي بداية لأخلاق جديدة تقوم على القوة والحرية، الإنسان الأعلى هو الوحيد الذي يمتلك الشجاعة

¹ -فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمها عن الألمانية علي مصباح، محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا) ط1، 2007، ص90-110.

² -فريدريك نيتشه، إرادة القوة، مصدر سابق، ص 120-130.

³ - أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 120.

⁴ -المرجع نفسه، ص120.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

لتجاوز العدمية، لأنه يدرك أن لا شيء في هذا العالم مقدس سوى الحياة ذاتها، وأن الأخلاق ليست سوى أداة تستخدم لتعزيز الإرادة والقدرة على الإبداع.

المبحث الثاني: نقد اللاهوت المسيحي بوصفه عدمية.

يعد فريديريك نيتشه أحد أبرز الفلاسفة المتمردين على المنظومات الفكرية والدينية والتقليدية، شكّلت أفكاره ثورة فكرية في القرن التاسع عشر، حيث انتقد بقسوة الأديان، وخاصة المسيحية، معتبرا إياها نظاما يكرّس الضعف وينتقص من قيمة الإنسان، في كتابه نقيض المسيح *De Antichrist*، يشن نيتشه هجوماً على المسيحية، مهتما إياها بتشويه الإرادة البشرية وتعزيز قيم الانحطاط والذل على حساب العظمة والقوة، حيث يعبر نيتشه عن موقفه المناهض لفكرة الإله المسيحي الذي أصبح رمزاً للضعفاء والمنكسرين، ويرى أن هذا التحول في مفهوم الإله يعكس انحطاطاً فكرياً وأخلاقياً يُعيق تطور الإنسان، يقول نيتشه في كتابه نقيض المسيح: (لكن إله "العدد الأكبر"، الإله الديمقراطي من بين كل الآلهة لم يغدُ مع ذلك بمهابة إله وثني: لقد ظل يهودياً ظل إله زاوية، إله كل ركن مظلم ومكان معتم، وكل ربع مصاب في العالم كله!...) ¹ في هذا الاقتباس، يهاجم نيتشه التحول الجذري الذي أصاب مفهوم الإله من كونه رمزاً للقوة والسمو إلى كيان يُمثل العزاء والشفقة للفئات الضعيفة، يبدأ نيتشه وصفه للإله المسيحي على أنه إله العدد الأكبر، مشيراً إلى الطبيعة الديمقراطية لهذا الإله الذي يقدم نفسه للجميع دون تمييز، هذا التحول، من وجهة نظر نيتشه، يمثل انحداراً للقيم، حيث يتم تفضيل الضعفاء على الأقوياء.

نقد نيتشه لللاهوت المسيحي أحد أهم محاور فلسفته، حيث رأى أن المسيحية مسؤولة عن نشر قيم العبودية والانحطاط في الحضارة الغربية، بالنسبة له، فإن الدين المسيحي لم يكن

¹ - فريديريش نيتشه، نقيض المسيح، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، ط1، 2011، ص47.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

سوى استمرار للفكر الافلاطوني الذي جعل من العالم الميتافيزيقي معياراً للحقيقة، مما أدى إلى نفي الحياة الواقعية وقيمها.

كان نيتشه ضد تجميل المسيحية حيث يقول: (لا ينبغي أن نزين وجه المسيحية ونلمع سحنتها: لقد خاضت حرباً بلا هوادة ضد ذلك النوع الراقى من الانسان، ونبذت كل الغرائز الأساسية لهذا النوع، ومن تلك الغرائز استتبقت خلاصة الخير والشر)¹.

نقد المسيحية عند نيتشه من أشد المعاول التي طالت أسوار المسيحية هي قلم الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه حيث وجه لها انتقادات كبيرة وكثيرة ليس لأنه يعادي المسيحية لذاتها ولكن اتساقاً مع نسقه الفلسفي كان يجب عليه أن ينتقد المسيحية على كل المستويات على مستوى الأخلاق التي تدعو إليها المسيحية والتي يصفها بأخلاق العبيد على مستوى الإله باعتباره مصدر للعبودية التي تنافي الإبداع وعلى مستوى النصوص من وجهين، من جهة النقل أنها تعرضت للتحريف وبالتالي تشويه لصورة المسيح، ومن جهة أخرى دلالتها على أنها ازدراء للحياة على حساب الآخرة و بهذا لم تسلم المسيحية من النقد في كل أركانها.

يرى نيتشه أن الإله في التصور المسيحي هو أحد أكثر المفاهيم عن الله تشوهاً وفساداً وعدائيةً للحياة لأجل الآخرة وقد عبر عن الحال الذي آلت اليه المسيحية ومن اهتزاز قيمتها في نفس الشخص الغربي حيث تم استبدالها بالعلم الحديث وتطور منهجيات التفكير والفلسفة ب "موت الإله" ومن النصوص التي هاجم فيها نيتشه الإله بالمفهوم المسيحي قوله: (إن المفهوم المسيحي لله -الله كإله للمرضى، الله الرتيلاء، الله كروح- هو واحد من المفاهيم الأكثر فساداً لله مما تُؤصل إليه على وجه الأرض، ولعه يمثل الدرجة السفلى في تراتب التطور الإنحداري للنموذج الإلهي)²، يرى نيتشه هنا أن الإله المسيحي ليس مصدر للحياة بل هو منغص مقابل حياة آخروية يصفها بالكاذبة وأن إله المسيحية هو المصدر الرئيسي لسلب قيمة هو المصدر

¹-فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مصدر سابق، ص28.

²-نفسه، ص48.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

الرئيسي لسلب قيمة الدنيا بدل إعلاء قيمتها فينتج عن ذلك العدم المقدس، طرح نيتشه فكرة "موت الإله" باعتبار أن الإله هو مصدر أخلاق العبيد وموته هو التخلص من الأغلال التي تحد من إرادة الشخص للقوة والحياة.

يرى نيتشه أن الأخلاق المسيحية التي تتمثل في قيم مثل التواضع، الرحمة، الصبر، المساواة، التضحية، والزهد، هي في جوهرها "أخلاق العبيد"، ويعني بذلك أنها أخلاق نشأت من الشعور بالضعف والعجز، حيث تفرض على الإنسان قيوداً تحد من طموحه وإرادته في تحقيق ذاته، مما يجعلها من وجهة نظره تحمل طابع العدمية، أي أنها تسلب الحياة معناها وقيمتها الحقيقية.

بحسب نيتشه، لم تتطور هذه الأخلاق بشكل طبيعي، بل نشأت كرد فعل على "أخلاق السادة"، التي تقوم على القوة، الإرادة الحرة، الفاعلية، والسيادة على الذات والعالم، فهو يرى أن الطبقات الضعيفة في المجتمع وعلى رأسها رجال الدين المسيحيون - عملت على ترسيخ هذه الاخلاق بهدف إضعاف الأقوياء وأصحاب الإرادة القوية، وقد تحقق ذلك من خلال زرع مشاعر الذنب وتأنيب الضمير في نفوسهم، مما دفعهم إلى كبح غرائزهم الطبيعية والتخلي عن تفوقهم الفطري، يشير نيتشه الى ذلك بقوله (إذا انهار شعب، وإذا بشكل قطعي بات يشعر أن إيمانه بالمستقبل، وأمله بالحرية، اضمحل، وإذا، إذا ارتدّ والتفت إلى الوثوق بأنّ الخضوع هو الدافع الأول)¹.

يطرح نيتشه مثلاً على ذلك في مفهوم الرحمة، حيث يعتبر أنها لم تُستحدث كقيمة عليا لذاتها، بل كأداة تهدف إلى التأثير على الأقوياء وإجبارهم على العفو عن الضعفاء، مما يقلل من فرص بقاء الأقوى ويؤدي إلى انحطاط المجتمع، وكنتيجة للمسيحية لهذه الأخلاق، أصبحت القوة والطموح والإرادة النبيلة مكبوتة، وهو ما يعيق تطور الإنسان نحو الحالة المثالية التي

¹ -فريدريك نيتشه، *عدو المسيح*، مصدر سابق، ص53.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

يسمى نيتشه " الإنسان الأعلى" (*ubermensch*)، وهو الفرد الذي يتجاوز القيود الأخلاقية التقليدية ويخلق قيمه الخاصة بناءً على قدرته وإرادته على تحقيق ذاته ويرى نيتشه أن كل هذه القيم مجرد أكاذيب لا وجود حقيقي لها (وقد تم ابتداء مفهوم الذنب والعقاب وكذلك تعاليم "الرحمة" و"الخلاص" و"الغفران" _ محض أكاذيب لا أثر لأية واقعية بسلوكية فيها)¹، كذلك يقول نيتشه: (ليس لدى البعض من شيء، ليس من شيء على الإطلاق إلا وهو فيزيولوجي: أجسادهم هي فكرهم، فكرهم هو أجسادهم)²، يجسد نيتشه رفضاً راديكالياً للفصل الكلاسيكي بين الجسد والفكر، ويقلب التصور الفلسفي السائد رأساً على عقب، مؤسساً لفهم جديد للأخلاق بوصفها تجلياً لحالة الجسد لا لسلطة العقل أو وحي المطلق، الفكر هنا ليس كياناً علوياً مستقلاً عن شروط الحياة المادية، بل هو استمرار للحركة الجسدية، تتشكل لمنط العيش البيولوجي في صورة مفاهيم وقيم. بهذا المعنى، لا يعود الفكر شيئاً نقياً أو مجرداً، بل يصبح انعكاساً مباشراً لقوة الجسد أو مرضه، لامتلأه أو ضعفه، لحيويته أو انحلاله، وهو ما يجعل القيم الأخلاقية نفسها كالتواضع، والعفة، والتضحية مجرد استجابات فيزيولوجية، تُنتجها أجساد مثقلة بالضعف، وتُحوّل عجزها البيولوجي إلى منظومة أخلاقية تتظاهر بالنقاء، نيتشه هنا لا يقدم رؤية بيولوجية مبتذلة، بل تحليلاً عميقاً لجذور الفكر الأخلاقي بوصفه استجابة جسدية، مما يفتح أفقاً لتفكيك الأخلاق التقليدية من أساسها، ويدعونا إلى إعادة تأمل كل فكرة، لا من حيث صلاحها العقلي أو مشروعيتها الاجتماعية، بل من حيث الجسد الذي أنتجها، والحالة الحيوية التي دفعت بها إلى الظهور، (من الأسهل التقدم بواسطة الرذائل: الرذائل مرنة بطبيعتها يُساعد بعضها بعضاً ويتسامح بعضها مع بعض، أما الفضائل الغيورة فهي تتخاصم ويلغي بعضها بعضاً، وليس من مجال إلا وهي تبرهن فيه على تنافرها وعدم تسامحها)³، في هذا الاقتباس، يُقدّم نيتشه قلباً جذرياً للتصور الأخلاقي التقليدي، حيث تتحول الرذائل عادةً ما تُدان

¹ - فريدريك نيتشه، *عدو المسيح*، ص 111.

² - إميل سيوران، *مثالب الولادة*، ترجمة آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط 1، 2015، ص 34.

³ - مرجع نفسه، ص 33.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

أخلاقياً إلى فضاء من المرونة والانسجام الداخلي، بينما تتحول الفضائل المفترض فيها النقاء والتكامل إلى عناصر متنافرة، متخاصمة، وغير قابلة للتعايش.

فالرذائل، بحسب نيتشه، لا تدّعي الكمال ولا تسعى للسيطرة الأخلاقية على بعضها البعض، بل تتحرك بواقعية وانسيابية أما الفضائل، فلكونها تدّعي السمو والطهارة والانضباط المطلق، فهي بطبعها غيورة، لا تتسامح مع غيرها، وتدخل في صراعات ذاتية تؤدي إلى تمزق الشخصية الأخلاقية التي تسعى لاحتضانها جميعاً في آنٍ واحد. الفضيلة، إذن، تتحول إلى سلطة داخلية استبدادية، تطرد ما يخالفها، وتسعى لفرض نموذج واحد للسلوك، بينما تبدو الرذائل أكثر ديمقراطية وتسامحاً، أقرب إلى الواقع النفسي المعقّد والمتعدد للإنسان، من هنا، فإن نيتشه لا يمدح الرذائل من حيث محتواها الأخلاقي، بل من حيث واقعيتها وقابليتها للاندماج في حياة بشرية غير متوترة، غير ممزقة بالتناقضات، حياة لا تنتشد الكمال، بل تتحرك في حقل الممكن، والمقبول، والنسبي. إن هذا الطرح يندرج ضمن مشروع نيتشه العام في تفكيك الأخلاق الموروثة، لا بنفيها فقط، بل بفضح بنيتها الداخلية المتضادة، التي تجعل من الفضيلة عبئاً على النفس، ومصدراً للذنب والانقسام، لا سبيلاً إلى التحرر أو القوة، (بل الأصح أن التضاد بين «الإناني» و «المنزه» ("غير الأناني") إنما يستحوذ على الوعي البشري أكثر فأكثر إبان انحطاط التقييمات الأرستقراطية)¹ في هذا الاقتباس، يلمح نيتشه إلى تحوّل جوهرى في تاريخ الأخلاق: انتقال الإنسان من منظور يُمجّد الذات القوية والفعل الحرّ، إلى منظور أخلاقي يُدين "الأنانية" ويمجّد نكران الذات أو "المنزّهة". وهذا التحول ليس بريئاً ولا محايداً، بل هو، في نظر نيتشه، علامة على الانحدار والانحطاط في سلم القيم، عند نيتشه، الأخلاق الأرستقراطية هي أخلاق الأقوياء، أولئك الذين يخلقون القيم من خلال الفعل، والكرم، والسيادة الذاتية. في هذه المنظومة لا يُدان الإنسان لأنه "أناني"، بل يُمجّد لأنه يعبر عن ذاته، عن

¹ -فريديريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قببسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 23.

الفصل الأول: — فريديريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

إرادته، عن تميّزه. أما "النزاهة" أو "تكران الذات"، فهي لا تُعتبر قيمة في ذاتها، بل قد تُرى كضعف أو انكسار في الإرادة، لكن حين تفقد الطبقات الأرستقراطية (روحياً أو سياسياً) سيادتها، وتنهض طبقات الضعفاء والمقهورين، تتقلب القيم: يُذمّ الأناني، ويُمدّح المنزّه، لا لأن ذلك يعكس حقيقة أخلاقية، بل لأنه يناسب مصالح الضعفاء الذين يريدون تحييد إرادة القوة لدى الآخرين.

يشير وصف "الإله الديمقراطي" إلى أن الإله المسيحي أصبح متاحاً لأي شخص بغض النظر عن مكانته أو قوته، وهو ما يراه نيتشه خطراً يهدّد تطور الإنسان. على النقيض من الآلهة الوثنية التي كانت تُجسّد القوة والسلطة والعظمة، أصبح الإله المسيحي مُنحازاً للضعف والمرض. هذا التحوّل يُفسّر سبب رفض نيتشه للقيم المسيحية باعتبارها تُضعف الروح البشرية وتُكرّس قيم الانحطاط، عندما يقول نيتشه: (لقد ظل يهودياً، ظل إله زاوية، إله كل ركن مظلم ومكان مقبع، وكل ربع مصاب في العالم كله)¹ فهو يُشير إلى أن المسيحية لم تتحرّر أبداً من جذورها اليهودية، يُقدّم نيتشه هنا نقدًا مزدوجًا:

الانعزالية والانغلاق: يرى نيتشه أن الإله المسيحي هو امتداد للإله اليهودي في طبيعته الانعزالية والضيقة. رغم انتشار المسيحية عالمياً، إلا أن روحها بقيت متمركزة حول التعزية والانغلاق في أركان المعاناة والمرض.

التركيز على الضعفاء: يُركّز الإله المسيحي، وفقاً لنيتشه، على الفئات المهمّشة بدلاً من تمجيد الحياة والقوة. هذه الرؤية تتعارض مع مفهومه لإرادة القوة، حيث يُشدّد على وجوب السعي نحو العظمة بدلاً من الشفقة. كما أضاف لذلك (عندما يُجرد مفهوم الله من شروط الحياة المتنامية، ومن كل ما هو قوة وشجاعة وسيادة ونخوة؛ وعندما يسقط شيئاً فشيئاً إلى وظيفة عكاز للمتعبين، وطافية نجاة لكل الغرقى؛ وعندما يتحول إلى إله للضعفاء، وإله

¹ - فريديريش نيتشه، نقيض المسيح، مصدر سابق، ص 47.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

خاطئين، وإله مرضى بامتياز؛ وعندما لا يتبقى له من الصفات الإلهية عامة غير ما يحمله اسمًا "المنقذ" و"المخلص" من يبقى مثل هذا التحول؟¹ في هذا الاقتباس، يُقدّم نيتشه نقدًا أكثر عمقًا لتفريغ مفهوم الإله من كل ما يُمثّل القوة والحياة. يبدأ نيتشه بوصف عملية تجريد الإله، مُشيرًا إلى كيف فقد الإله المسيحي كل القيم الإيجابية كالشجاعة والسيادة، ليُصبح مجرد ملاذ للعاجزين. يُركّز نيتشه هنا على ثلاثة تحولات رئيسية في مفهوم الإله المسيحي:

تجريد الإله من القوة: لم يعد الإله المسيحي رمزًا للحياة أو الإرادة القوية، بل أصبح يُجسّد قيم التواضع والشفقة، مما يجعل الإنسان يهرب من مسؤولياته وقوته الذاتية، التحول إلى "المخلص": أصبح الإله المسيحي محصورًا في فكرة الخلاص، وهي فكرة يُعارضها نيتشه بشدة لأنها تُعزّز الشعور بالذنب وتكرّس قيم الانسحاب من الحياة بدلًا من مواجهتها.

يطرح نيتشه في ختام الاقتباس سؤالًا استغزاليًا: (عمّ ينبئ مثل هذا التحول؟)² وهو سؤال فلسفي عميق يُعبّر عن رفضه لفكرة الإله الذي يُكرّس الضعف. في نظره، هذا الإله لا يُقدّم شيئًا للأقوياء أو للطامحين، بل يُعيق تطوّرهم ويحبسهم في دائرة الخضوع، (وهم انما انتحلوا لأنفسهم هذا الحق في خلق القيم وتحديدّها، من علياء ذاك الشعور بالفوارق بينهم وبين الآخرين)³، يُعد هذا الاقتباس من المفاتيح الجوهرية لفهم موقف نيتشه النقدي من منظومات القيم السائدة، وعلى رأسها الأخلاق المسيحية. فهو يكشف عن طبيعة مُضمرة في "خلق القيم" لا تُبنى على أسس موضوعية أو عقلية أو ميتافيزيقية — كما تُوهم بذلك هذه المنظومات — بل تستند إلى شعور داخلي بالتفوق، أو "الفارق" عن الآخرين، وهو فارق يحمل في ذاته نواة السلطة والهيمنة، يرى نيتشه أن الأخلاق المسيحية نشأت بوصفها تعبيرًا عن أخلاق العبيد، أي المنظومة الأخلاقية التي أسّسها الضعفاء ردًا على قوة الأسياد. وقد تجلّى ذلك في قلب

¹—نفسه ص 46.

²—فريدريش نيتشه، نقيض المسيح، مصدر سابق، ص 46.

³—فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 23.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

جذري لقيم الحياة: فبدلاً من تمجيد القوة، والتفوق، والنجاح، والإرادة، تم تمجيد التواضع، والمعاناة، والخضوع، والرحمة. هذه القيم الجديدة، بحسب نيتشه، لم تكن إلا رد فعل حاقق من الضعفاء تجاه الأسياد الذين كانوا يمارسون أخلاقاً معاكسة أخلاق القوة والإبداع والإرادة.

(إن مفاهيم من مثل «أخلاقي» و «غير أناني» «ممتز»)، هي مفاهيم متكافئة، ما زال سائداً بكل ما لقوة الوسواس)¹، في هذا الاقتباس، يسلط نيتشه الضوء على الطبيعة القمعية والتكرارية للمفاهيم الأخلاقية السائدة، والتي لم تعد أدوات للتفكير الحر أو التعبير عن الحقيقة، بل تحولت إلى وسواس ذهنية مُرعبة، تُحاصر الوعي البشري وتكبّله. هنا نيتشه لا ينتقد المعاني الأخلاقية الفردية فحسب، عندما يصرّح نيتشه بأن مفاهيم مثل "الأخلاقي"، و"غير الأناني"، و"المتز" (أي النقي الطاهر)، متكافئة، فهو يفصح أن هذه المفاهيم، رغم تنوعها الظاهري، تتبع من مصدر واحد: أخلاق العبد، والضعيفة، والردّ على القوة. كلها تدور حول فكرة واحدة: إدانة الذات القوية، ورفع الضعف إلى مصاف الفضيلة

ف"الأخلاقي" هو من يطيع، لا من يخلق.

و"غير الأناني" هو من يضحي بذاته، لا من يعبر عنها.

و"المتز" هو من يكبت شهواته، لا من يحقق ذاته.

(من ناحية ثانية، وبصرف النظر عما إذا كانت هذه الفرضية حول أصل الحكم على شيء بأنه "طيب" فرضية لا يمكن الدفاع عنها تاريخياً، فإنها تشكو بحد ذاتها من تناقض نفسي)²، يتناول نيتشه واحدة من أكثر الصور المثالية الراسخة في الأخلاق الدينية والفلسفة الكلاسيكية: صورة الحكيم الطيب، ذلك الذي ينبذ الشهوات، ويُعرض عن القوة، ويسعى للسلام الداخلي، ويعيش تصالح دائم مع العالم. هذه الصورة، التي طالما مجّدها المسيحية، والرواقية،

¹ - نفسه، ص 23.

² - فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 31-32.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

وبعض تيارات الحداثة، هي عند نيتشه خدعة مزدوجة: تاريخية ونفسية، الجانب الأهم في نقد نيتشه هنا هو التحليل النفسي لبنية الزاهد أو الحكيم الطيب. في الظاهر، يبدو هذا الإنسان مسالمًا، منزهاً، طيبًا، قد تخلص عن الشهوات والعنف والأنانية. لكن نيتشه يرى أن هذا التخلي ليس طهرًا ولا تسامياً، بل تعبير عن الحقد، الضعف، والخوف.

(فأخلاق العبيد تحتاج دائماً وقبل كل شيء إلى عالم يواجه لها وخارج عنها، لكي تولد: انها بحاجة، على حد التعبير الفيزيولوجي، إلى حافز خارجي لكي تفعل فعلها)¹

نيتشه في هذا المقطع يكشف عن الشرط التأسيسي السلبي لأخلاق العبيد: إنها لا تبدأ بالفعل، بل بالانفعال؛ لا تخلق من ذاتها، بل تستمد وجودها من نقيضها، هذا النمط الأخلاقي لا ينشأ من القوة، بل من المرأة: من رؤية "الآخر" القوي، ثم تعريف الذات بمقابلته، ومن هنا، فإن أخلاق العبيد ليست أخلاقاً مستقلة، بل تعريف ذاتي مبني على الرفض لا على الإبداع. بخلاف "أخلاق السادة" التي تبدأ بالفعل، وبخلق القيم من موقع السيادة مثل قول السيد: هذا جيد لأنه منّي، لأنه يعبر عني، فإن أخلاق العبيد لا تملك هذه الجرأة الوجودية إنها تعريف سلبي للذات:

• القوي أناني؟ إذا أنا فاضل لأنني غير أناني

• السيد شرير؟ إذا أنا طيب لأنني لست هو

• هم يملكون؟ إذا أنا منزّه لأنني لا أملك

هكذا تُبنى الأخلاق العبدية: لا تصنع معنى، بل تُعاكسه

(فالذي لم يعرف هؤلاء (الطيبين) إلا بوصفهم أعداء، لا يكون قد عرف بالطبع إلا أعداء

أشرا)² هذا الاقتباس يتناول كيفية بناء الهوية الأخلاقية الزائفة في ثقافة الضعف. نيتشه هنا

¹ -المصدر نفسه، ص 33.

² -فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، مصدر سابق، ص 36.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

يسلّط الضوء على آلية جوهريّة: أن صورة "الخير" في أخلاق العبيد لا تُبنى كقيمة فعلية، بل يتم اختلاقها كردّ على "الشر"، أي أنها لا تولد من الإرادة الإيجابية، بل من إعادة تعريف الذات من خلال علاقة عدا، بعبارة أخرى "الطيب" ليس طيباً لأنه قام بفعل الخير، بل لأنه ليس مثل "عدوه الشرير". هذا يجعل أخلاق العبيد معتمدة بالكامل على صورة العدو، مما يفتح الطريق أمام تحليلات نفسية وعدمية عميقة، في جوهر هذا الاقتباس، يكشف نيتشه كيف أن "الطيب" في المنظومة الأخلاقية للعبيد لا يعرف نفسه بشكل مستقل، بل دائماً من خلال الآخر. إنه يقول ضمناً: "أنا لست شريراً مثلهم"، "أنا مختلف عنهم"، "أنا أفضل لأنني لا أملك ما يملكون، هذا النمط من الأخلاق هو في الحقيقة آلية دفاع نفسي، محاولة لتغطية الضعف عبر خلق صورة للذات تُخالف صورة الآخر القوي. الطيب في هذا السياق ليس فاضلاً فعلياً، بل فقط أقل ضرراً أو بالأحرى، أقل قدرة على الإضرار.

المبحث الثالث: نقد النموذج المعرفي بوصفها عدمية.

إن الفلسفة النيتشوية تمثل قطيعة جذرية مع المفهوم التقليدي للمعرفة، لا باعتبارها مجرد لحظة ضمن سلسلة المفاهيم، بل بوصفها تجسيداً لعدمية مضمرّة تمارس باسم الحقيقة. فقد رأى نيتشه أن الميتافيزيقا الغربية منذ أفلاطون قد أقامت بنيانها على أساس فصل بين عالمين: عالم الحقيقة المطلقة (الجوهر، العقل، الله)، وعالم الظهور، الحس، الحياة. هذا الفصل هو في نظره شكل من أشكال العدمية، لأنه ينزع القيمة عن الحياة المباشرة ويجعلها مجرد ظلّ لحقيقة مفترضة في عالم آخر، يقول نيتشه: (الحقيقة أنه في اللحظة التي يدرك فيها إنسان من هذا النوع، شيئاً مدهشاً، يعود على أعقابهِ قريباً، مخاطباً نفسه: "خطأ ولكن كيف كانت نباهتي إذن؟ يستحيل أن تكون {هذه هي} الحقيقة")¹، هذا المقطع يُظهر كيف تُشكّل

¹—فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص71.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

"الحقيقة" في كثير من الأحيان وفقاً لحاجاتنا النفسية والاجتماعية، لا وفقاً لمعيار موضوعي أو عقلاني. الفرد هنا يرفض الحقيقة إذا كانت تُربكه أو تُهدد استقراره النفسي، حتى لو بدت منطقية أو مثيرة للدهشة. هذه الآلية الدفاعية، حيث يفر الإنسان من الحقيقة خوفاً من الغرابة، تُشير إلى أن الحقيقة ليست "ما هو"، بل "ما نستطيع تحمّله" (إرادة القوة كالعنصر التفاضلي والتعاقبي للقوى المتواجدة ومع احتمال أن نتحقق بشكل أفضل فيما بعد من هذا الافتراض)¹، هنا نلمس الأساس الفلسفي البديل الذي يقدمه نيتشه للمعرفة: ليست المعرفة استجابة لعالم خارجي ثابت، بل هي إنتاج ناتج عن "تأليف القوى"؛ كل معرفة تتبع من صراع بين قوى مختلفة، وما يُنتج هو منظور، لا حقيقة مطلقة. المعرفة بوصفها منظوراً ناتجاً عن إرادة القوة تتعارض مع النمط الكانطي أو الميتافيزيقي للمعرفة، الذي يفترض ذاتاً متعالية وعالمًا عقلانيًا منظمًا. في المقابل، نيتشه يفضح البنية العدمية لهذا النموذج، (إن حسن الظن بالعلم، الرأي المسبق المؤيد الذي يحظى به، والغالب على دولنا الآن (والذي كان غالباً حتى على الكنيسة في السابق)، يركز في العمق على حقيقة مؤداها أن في هذا الميل المطلق، والذي لا يقاوم، نادراً ما تكشف في العلم، وأن العلم لا يتحول على الإطلاق ليكون شغفاً، بل حالة، "مزاج الشعب")²، في هذا النص، ينتقد نيتشه الإيمان بالعلم باعتباره حقيقة موضوعية لا تُمس، مظهراً أن الدافع إلى العلم غالباً ما يكون غير عقلاني: مجرد "مزاج شعب"، أو ميل ثقافي، لا بحثاً نزيهاً عن الحقيقة.

المعرفة، إذن، لا تُطلب لحقيقتها، بل لتلبية حاجات أخرى: حب الظهور، حب النظام، الرغبة في الأمان. هذه النظرة تتقاطع جذرياً مع الاقتباس الأساسي، حيث أن ما نسميه حقائق علمية قد يكون في الحقيقة "أوهاماً نسينا أنها كذلك"، أو بلغة نيتشه: حقائق غير واعية منشؤها

¹ - جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمراء، ط1، 1414هـ-1993م ص69.

² - فريدريك نيتشه، العلم والمرح، مصدر سابق، ص130-131.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

الغرور الجمعي، وليست نابعة من وعي عقلاني حر، وهنا يصبح نقد المعرفة عند نيتشه بمثابة تفكيك للميتافيزيقا الغربية. إن نيتشه لا يرى في أفلاطون وأرسطو وديكارت وكانط سوى تجسيدات لإرادة نفي الحياة باسم مفاهيم مثل: "العقل"، "الجوهر"، "السبب"، "النظام"، "الهدف". هذه المفاهيم، في رأيه، تحولت إلى أصنام معرفية.

(فإن الداخل ليس سوى ثنية للخارج، وأن الخارج يبقى امتداداً سكونياً إن لم تحدث فيه تموجات)¹ هنا يظهر تأثير دولوز على قراءة فوكو، خاصة في كتابه "فوكو"، حيث يصف الذات بوصفها ثنية من الخارج. هذه الفكرة ترتبط أيضاً بنيتشه: فليس هناك ذات "نقية"، بل هناك تراكمات من القوى، وكل هوية هي نتاج صراعات داخلية وخارجية.

يعتقد الفرد أن الوجود يسير على سياق منطقي، وأن هناك كلاً منظماً في كل أحداث الوجود... مع أن هذا الكل المزعوم لا وجود له في الواقع²، هذا المقطع يُعدّ نقداً مباشراً للميتافيزيقا الكلاسيكية التي تنظر إلى العالم باعتباره كلاً متماسكاً يمكن معرفته عقلانياً، كما هو الحال عند أفلاطون وهيغل وليبنز. يفترض الإنسان، حسب نيتشه، أن كل حادثة في الكون هي جزء من "نظام أكبر"؛ وهذه الفكرة هي أصل الموقف المعرفي العقلاني الذي يدّعي الشمول والقدرة على تفسير الكل. لكن نيتشه يواجه هذه الفرضية بتفكيك راديكالي: هذا "الكل" الذي يسعى الإنسان إلى إدراكه، لا وجود له خارج الرغبة البشرية في التنظيم والمعنى بمعنى آخر، المعرفة العقلانية تُسقط على الواقع مفاهيم من اختراعها، وتدّعي أنها تكتشف ما هو في الواقع ليس سوى إسقاطات فكرية. وحين تتكشف هذه الحقيقة، لا يعود هناك أي أساس موضوعي أو متعالٍ يمكن للإنسان أن يثق به. وهكذا، تتحول المعرفة من وعدٍ بالكشف إلى إعلان عن التمزق: إننا نحيا في فوضى، والكلية التي بحثنا عنها ليست إلا خيلاً. هنا تبرز العدمية بوصفها أزمة ناتجة عن وعي معرفي فائق، وليس عن جهل أو لا عقلانية (تم وضع

¹ -ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص 10.

² -جمال مفرج، فريدريك نيتشه، الفيلسوف الثائر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2003-1993، ص 71.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

الإنسان ودون سابق إنذار أمام مهمة الالتزام بالسيادة على العالم وذلك انطلاقاً من كينونة الكائن¹، في هذا الاقتباس، تُبرز قراءة هايدغر لفكر نيتشه أزمة الحداثة المعرفية: الإنسان الذي أوكلت إليه مهمّة "السيادة على العالم" من خلال المعرفة وإرادة السيطرة، يجد نفسه وجهاً لوجه مع كينونة لا يفهمها بعد. لقد تم تحميل الإنسان عبء الهيمنة على الكائن انطلاقاً من "إرادة القوة"، لكن دون أن يكون هذا الإنسان مهياً أو مؤهلاً أنطولوجياً لذلك، هذا يضع المعرفة البشرية موضع تساؤل جذري: هل المعرفة التي تُنتج لغرض السيطرة والسيادة تُفضي فعلاً إلى التحرر؟ أم أنها تسحب الإنسان إلى مشروع مفرغ من المعنى، أي إلى العدمية؟ بهذا المعنى، تتحول المعرفة من أداة للفهم إلى وظيفة إرادية ميتافيزيقية تُفقد الإنسان صلته بماهية الكينونة، وتدفعه إلى الانغلاق في أفق السيادة التقنية، وهو ما يتماهى مع مشروع العدمية الحديثة.

(لقد فهم تأليف القوى على أنه العودة الدائمة، ووجد إذاً في قلب التأليف إعادة إنتاج المتنوع)²، الربط بين تأليف القوى والعودة الأبدية يُظهر كيف أن نيتشه يرى المعرفة كتكرار للصيرورة، لا كثبات للمعنى. "المتنوع" يُعاد إنتاجه باستمرار، والمعرفة لا تُثبت الواقع، بل تُعيد خلقه وتأويله. هذه النظرة تهدم الأساس الذي بُنيت عليه الميتافيزيقا الغربية: يقين ثابت، أساس موضوعي، حقائق نهائية. بالنسبة لنيتشه، هذا كلّه عديمي لأنه ينفي الحياة والتحوّل، ("ما العلم إلا شيء ثانوي، ليس شيئاً نهائياً ومطلقاً، ليس شيئاً يستحق الشغف")³، هنا يتخذ نيتشه موقفاً أكثر وضوحاً وصراحة من فكرة الحقيقة المطلقة. فبدلاً من أن يقَدّس العلم كوسيلة إلى الحقيقة، يُقلل من شأنه باعتباره لا يستحق الانخراط الوجودي العميق، لأنه لا يقدّم قيمة متعالية أو نهائية. العلم بالنسبة لنيتشه مجرد أداة وظيفية، وليس مبدأ شاملاً. وهذا الموقف ينسجم مع

¹ -مارتن هايدغر، الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة محمد مزيان، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، ط1، 1436هـ - 2015م، ص102.

² - جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص69.

³ -فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص131.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

فلسفته في "نقد الحقيقة"، حيث تُجرد الحقيقة من سحرها وقداستها، وتُعاد إلى مكانتها كبنية لغوية واجتماعية قابلة للنقد والهدم.

وهذا ما أكّده الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز حين قال:

(الكلمة الجامعة وحدها قادرة على قول المعنى، الكلمة الجامعة هي التفسير وهي فن التفسير)¹، يرى دولوز أن نيتشه لا يفصل بين الشكل الأدبي والمعنى الفلسفي، بل يعتبر أن الكلمة الجامعة وهي نوع من القول المركّز والقصير، ليست مجرد تعبير بل ممارسة للتأويل هنا، يربط المعرفة بفن التفسير، أي أن المعرفة ليست اكتشافاً لحقائق موضوعية، بل إنتاجاً لمعانٍ من خلال موقع معين وإرادة معينة. وهذا يعارض بشدة نموذج المعرفة العقلانية الموضوعية، الذي يعتبره نيتشه تعبيراً عن إرادة نفي، أي عدمية (السلوك الفلسفي عند اليونان لم يكن مجرد كبح لانفعالات الذات من أجل التطابق مع فضائل أخلاقية معلقة في الفراغ، بل إن قيادة النفس ليست هي سوى هذا الإنهمام الكلي بالذات)²، هذا الجزء يشكّل قمة التحول الفوكوي نحو الذات، لكنه أيضاً استعادة لما كان نيتشه يسعى إليه حين تحدث عن إعادة ابتكار الفلسفة القديمة بوصفها أسلوب حياة، لا خطاباً أكاديمياً (كان هذا التفريق النوعي بين الجنسانية والجنس، إذ إنّ الأولى تشتمل على مجمل التقنيات التي تدار بها الحياة الجنسية بمعناها الواسع والشامل في حين أن الجنس كعملية حيوية مباشرة تُؤلف جزءاً من رتبة العضوية)³

فوكو هنا يتبع خط نيتشه في مساءلة أوهام الأخلاق والمثل، وخاصة المسيحية، كما في "المسيح الدجال" و "في أصل الأخلاق".* الجنسانية تُفهم كفضاء للصراع بين السلطة والمعرفة والجسد، تماماً كما كان نيتشه يربط بين قمع الجسد وصعود الأخلاق الزهدية (حينما يعرف

¹ -جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 43.

² -ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص 11.

³ -المرجع نفسه، ص 8.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

أن التطور لا يمكن أن يؤدي إلى شيء، وأنه لا وجود لوحدة كلية، ولا لنظام يحكم هذا العالم... فيخترع عالماً آخر... ولكنه سرعان ما يكتشف أن هذا العالم لم يُبنَ إلا بحاجات نفسية¹، ينتقد نيتشه في هذا النص النزعة الإنسانية إلى اختراع عوالم متعالية، سواء كانت دينية أو ميتافيزيقية، كردّ فعل على غياب النظام والمعنى في العالم الواقعي فالإنسان، عندما يعجز عن العثور على غاية في التطور أو في الحياة، لا يستسلم، بل يلجأ إلى خلق "عوالم أخرى" لتبرير وجوده، عوالم تتضمن "الحق المطلق"، "الإله"، أو "الروح المطلقة". لكن هذه العوالم ليست إلا تخیلات نفسية، نابعة من الضعف أمام واقع غير منظم وغير مبرر.

هنا تصبح المعرفة وسيلة للهروب، لا للفهم. بدل أن تكون أداة لفهم الواقع كما هو، تُصبح وسيلة لابتكار واقع بديل يوفّر الطمأنينة. لكن هذه الطمأنينة تنهار، حسب نيتشه، عندما يدرك الإنسان أن هذه العوالم ليست "معقولة" بل "مخترعة"، وهنا تبلغ العدمية ذروتها: لا وجود لنظام، ولا يمكن الوثوق في العوالم البديلة التي ابتكرها العقل. المعرفة هنا تتحول إلى أداة لكشف العجز، لا للتمكين (يظل سرّاً شأن الحد الذي تتحدد به ماهية الإنسان انطلاقاً من ماهية الكينونة، وبذلك يظل سبب العلاقة الجوهرية بين إرادة القوة وماهية الإنسان الأعلى بالضرورة محتجباً ضمن ميتافيزيقا نيتشه)²، هنا يبيّن هايدغر أن نيتشه، رغم محاولته قلب الميتافيزيقا من خلال إرادة القوة، لم يخرج تماماً من إشكالية المعرفة الميتافيزيقية القديمة. فالرابطة بين إرادة القوة والإنسان الأعلى تبقى غير مفكّرة فيها بعمق أنطولوجي، أي أنها لا تتجاوز بعد منطق العدمية الذي يسعى إلى تأسيس المعنى على شكل من "الغاية القصوى" (الإنسان الأعلى)، هذا الاحتجاب للعلاقة الجوهرية بين الإنسان والكينونة، رغم حضور إرادة القوة، هو تعبير عن عجز المعرفة الميتافيزيقية عن تبني أصلها. فهي تبحث في الكائن، لا في كينونته، وبالتالي تكرر العدمية تحت ستار جديد: فالمعرفة هنا تُستعمل لتبرير قيمة

¹ -جمال مفرج، فريدريك نيتشه، الفيلسوف الثائر، مرجع سابق، ص71.

² -مارتن هايدغر، الفلسفة، الهوية والذات، مصدر سابق، ص 102.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

ميتافيزيقية جديدة (الإنسان الأعلى) بدل الله أو الحقيقة، لكنها في الجوهر تعيد إنتاج انقطاع الإنسان عن الأصل.

ويقول كارل ياسبرس في كتابه مدخل إلى الفلسفة: (وعلى النقيض من العلوم، لا يبدو أن التفكير الفلسفي يتقدم، إننا حقا نعرف أكثر من أبقرات، ولكن ليس بوسعنا أن نزع اننا تجاوزنا أفلاطون)¹، هذا الاقتباس لكارل ياسبرس يعكس رؤيته لطبيعة الفلسفة مقارنة بالعلوم، فهو يرى أن المعرفة العلمية تتقدم عبر الزمن، حيث تتراكم الاكتشافات وتتطور المناهج، مما يجعلنا اليوم نعرف أكثر مما عرفه أبقرات في مجال الطب مثلاً لكن الفلسفة، على عكس العلوم، لا تتقدم بنفس الطريقة الخطية، لأنها لا تهدف إلى إنتاج حقائق نهائية أو يقينية، بل إلى مساءلة الوجود والإنسان والمعرفة نفسها.

(ينبغي إذاً قراءة كل كلمة جامعة مرتين، مع رمية الرند، يبدأ تفسير العودة الدائمة، لكنه يبدأ لا أكثر، ينبغي كذلك تفسير رمية الرند بحد ذاتها، في الوقت ذاته الذي ترجع فيه)²، تأكيد دولوز على "العودة الثانية" في القراءة والتفسير ينسجم مع فكرة نيتشه و"العودة الأبدية"، المعنى لا يُعطى دفعة واحدة، بل يُبنى في الزمن ومن خلال صيرورة التأويل. إذاً، المعرفة ليست تملكاً فورياً، بل عملية مستمرة، وهذا ما ينزع عنها الوهم الموضوعي ويظهر بعدها الإرادي والتأويلي. في هذا السياق، العدمية تنشأ حين ننكر هذه الطبيعة التأويلية للمعرفة، ونتعامل معها كحقيقة مطلقة (أركيولوجيا الكشف عن تقنيات الذات تتأى بنا عن التحليل النفسي... وتضع حداً لكل ذلك التأويل الفني الناشط لفكرة الوساطة التي حركت تراث المثالية)³، فوكو هنا يفكك فكرة "الوسيط" بين الذات والحقيقة، وهي فكرة سادت في الفلسفة المثالية الألمانية (هيجل، كانط...) وامتدت إلى الماركسية، ويرفض أن يكون "الآخر" شرطاً في تشكيل الذات،

¹ -كارل ياسبرس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة جورج صدقي، الناشر مكتبة أطلس، دمشق، ص 10.

² - جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 44.

³ -ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص 10.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

نيتشه أيضاً رفض هذه "الوساطة"، وهاجم كل ما يجعل من الحقيقة شيئاً مفارقاً لا يتحقق إلا بالعبور من خلال مثال أعلى أو سلطة خارجية (به بالضبط يهدمون العديد من الكائنات الضعيفة، المترددة، {التي هي} غمرة التحول ولا تملك إرادتها)¹ في هذا المقطع، نيتشه يصف كيف أن "العظماء"، بما فيهم أولئك الذين يمتلكون معرفة عليا، يمكن أن يُحطّموا الآخرين لا عن قصد، بل لأنهم يتجاوزون القدرة النفسية للضعفاء على التحمل. هذه "المعرفة العليا"، أو هذا التفوق، يُقابل عند الآخرين كتجربة "تخدير" أو "هوس" تُفقد توازنهم. وهنا، ترتبط المعرفة أو الحقيقة بتأثير نفسي أشبه بالمخدر، لا بالوضوح العقلي. تماماً مثلما يشير نيتشه في الاقتباس إلى أن "الحقائق" ما هي إلا أوهام نسينا أنها كذلك، هذه المعرفة المؤذية لا تتبع من قوة موضوعية، بل من وقعها النفسي — من أثرها الصادم أكثر منمضمونها. بهذا، تصبح المعرفة ذاتها قوة ميتافيزيقية زائفة، وليس نورا هادئاً للعقل (يطبق نهج التكوين الأركيولوجي [الجيولوجيا الأركيولوجيا] على حفريات تاريخ التقنيات المعروفة في الحضارات من أجل ممارسة الذات)²، هنا يشير الكاتب إلى استعمال فوكو لمناهجه الشهيرة: الأركيولوجيا والجيولوجيا، وهي مناهج ترتبط مباشرة بـ نيتشه، لا سيما في كتابه "في أصل الأخلاق" فوكو نفسه اعترف بذلك مراراً، قائلاً إن الجيولوجيا هي طريقة نيتشه في "ضرب التاريخ بالمطرقة" للكشف عن الأصول القمعية للحقائق والأخلاق والمعرفة.

خاتمة الفصل.

بعد كل ما تطرقنا إليه في هذا الفصل، يتضح أن نيتشه لم يكن فيلسوفاً عادياً، بل كان ناقداً جذرياً لكل ما اعتبر مسلماً به في تاريخ الفلسفة الغربية، فبنقده للتراتبية الأخلاقية، حاول

¹ -فريدريك نيتشه، العلم المرح، مصدر سابق، ص 71.

² -ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص 7.

الفصل الأول: — فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي

أن يفضح الأخلاق التقليدية التي تُعلي من شأن الضعف وتكبت الحياة، وبالنسبة له فإن المسيحية لم تكن دين خلاص، بل كانت سبباً في انتشار العدمية، لأنها قاتلت الغرائز ورفعت المعاناة إلى مرتبة الفضيلة، أما في نقده للمعرفة، فقد بيّنت أنها ليست بحثاً عن الحقيقة بقدر ما هي تعبير عن إرادة القوة، كل هذا يجعلنا نرى أن فكر نيتشه لا يهدف إلى الهدم فقط، بل يسعى إلى إعادة بناء القيم على أساس جديد، يقوم على القوة والحياة بدل الضعف والإنكار.

الفصل الثاني:

القراءة الهيدغرية لفلسفة نيتشه

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

تمهيد

يشكل سؤال تجاوز الميتافيزيقا محوراً أساسياً في التفكير الفلسفي المعاصر، وقد وجد هذا السؤال جذوره العميقة في نقد فريديريك نيتشه الراديكالي للتراث الفلسفي الغربي، حيث سعى إلى زحزحة مفاهيم مثل: الحقيقة، والجوهر، والثبات، التي تُمثل أعمدة الميتافيزيقا الكلاسيكية، غير أن هذا النقد، رغم شدته وقوته لم يسلم من المراجعة بدوره، وهو ما قام به الفيلسوف الألماني الوجودي مارتن هيدغر، الذي رأى في نيتشه لحظة اكتمال الميتافيزيقا لا تجاوزها.

ومن هذا المنطلق يهدف هذا الفصل إلى تتبع مسار هذا النقد النيتشوي، وتحليل الكيفية التي استقبل بها هيدغر هذا المسار، محاولاً الدفع به نحو أفق أنطولوجي مغاير، وقراءة مختلفة تماماً، على ضوء يجعل من الكينونة لا الكائن مركزاً للتفكير.

الفصل الثاني: القراءة الهيدغرية لفلسفة نيتشه

المبحث الأول: تجاوز الميتافيزيقا بين النقد النيتشوي والقراءة الهيدغرية.

يُعد نيتشه في نظر هيدغر مفترق الطرق في تاريخ الميتافيزيقا الغربية، لا بوصفه مفكرًا خارجيًا، بل كأقصى تعبير عنها، فقد جاءت فلسفته في سياق أزمة فكرية كبرى، حيث اكتمال السيطرة المطلقة للكائن، وغياب أي تساؤل عن طبيعة الكينونة، وهو ما يسميه هيدغر نسيان الكينونة، يرى هيدغر أن نيتشه، شأنه شأن هيغل، لم يخرج من أفق الفكر الميتافيزيقي، لكنه أوصله إلى ذروته (فكينونة الكائن إنما هي صيرورته -الكينونة الصيرورة- أو قل: إن نيتشه دمج "الصيرورة" ذاتها بدمغة "الكينونة"، فبناء الكائن عنده أنه إرادة قوة)¹، بهذا المعنى، فإن نيتشه لم يلغ الميتافيزيقا، بل "ختم عليها ختم النهاية"، إذ اكتملت فيها كل إمكانيات النظر الميتافيزيقي القديم، وانغلقت على ذاتها (وسعى هيدغر في أفق فهمه الخاص للتراث إلى تبيان أن علم الوجود الذي ظهر في الفلسفة اليونانية سواءً في انبثاقه الإيجابي الحقيقي أو في التحولات التاريخية التي خضع لها بفعل تأويلات حادت به عن المسار المنشود كان له الأثر الحاسم في تحديد المهمة الأساسية للفلسفة)²، يُبرز هذا الاقتباس البعد التاريخي للفكر الغربي كما يراه هايدغر، فهايدغر يرى أن الفلسفة الغربية انطلقت من فهم معين للوجود لدى اليونان القدامى، وهو ما تطور لاحقًا بطريقة منحرفة أو مشوهة، خصوصًا عند فريدريك نيتشه الذي مثل - بحسب هايدغر - الذروة لهذا الانحراف الانطولوجي.

يرى هيدغر أن نيتشه "هو آخر ناظر ميتافيزيقي في تاريخ الغرب، إذ أنه لم يكن مجرد ناقض للميتافيزيقا، بل كان من تَمَمها (فعل "العودة" في بداية الفلسفة الذي قام به فكر نيتشه

¹ -محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هيدغر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، أغسطس 2008، ص629.

-مارتن هيدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، ترجمة عن الألمانية وعد علي الرحية، تقديم ومراجعة علي محمد اسبر، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2016، ص17.²

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

الميتافيزيقي هو الذي ختم الدائرة، وبختمها حدث انحجاب مسألة الكينونة الانحجاب الكلي وانطماسها الانطماس التام، وبهذا الانطماس التام بلغت الميتافيزيقا مبلغ النهاية والتمام.¹

ولهذا السبب، يقول هيدغر إن اكتمال فلسفة نيتشه لا يشير إلى تجاوز الميتافيزيقا بل إلى نهايتها من الداخل. ففلسفة نيتشه كانت "عودًا لا يستأنف البدء"، بل يكرّس اكتمال الحقبة الميتافيزيقية.

(يعتقد هيدغر أنه لا يمكن اجترار توجه منهجي حقيقي فيما يتعلق بالبحث عن جواب لسؤال الوجود إلا على أساس من وضع هذا السؤال نفسه في أفق تاريخه الخاص)²، هذا الاقتباس يُبرز أن فكر نيتشه لا يمثل تجاوزًا للميتافيزيقا، بل استمرارية في إطار نسيان الكينونة، وهو ما يجعل نهايته بمثابة نهاية الميتافيزيقا لا تجاوزها. الفكرة الأساسية هنا أن التجاوز لا يكون إلا بفهم السؤال الأنطولوجي تاريخيًا، بينما نيتشه - في منظور هيدغر - يظل حبيس هذا النسيان، ومن ثم يختم الميتافيزيقا دون أن يتجاوزها.

في تفسيره للفكر الغربي، يرى هيدغر أن سؤال الكينونة تم حجبته تاريخيًا منذ بداياته مع الفلاسفة اليونان، حينما طغى النظر إلى الكائن على حساب الكينونة. وقد تركز هذا الحجب مع سقراط وأفلاطون، وتعمق أكثر مع ديكارت وكانط وهيغل، حتى بلغ ذروته مع نيتشه.

(إن "نهاية الفلسفة" معناها انحلالها إلى مجرد "فلسفة أناسة"؛ أي إلى أنثروبولوجيا. وبصيرورتها أنثروبولوجيا تهلك الفلسفة بفعل الميتافيزيقا)³، هنا، يؤكد هيدغر أن ما تبقى بعد هذه النهاية هو إمكان تفكير آخر، لا فلسفي ولا ميتافيزيقي، بل فكر في الكينونة، هذا الفكر يتطلب العودة إلى البدء ولكن لا إلى بدء الكائن، بل إلى البدء الأصلي للفكر، أي إلى التجربة الأولى للكينونة، (ما كان القول بدعوى نهاية الفلسفة ليعني نقد الفلسفة، وإنما طرح مسألة

¹-محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هيدغر، مرجع سابق، ص 630.

²-مارتن هيدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، مصدر سابق، ص 20.

³-محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هيدغر، مرجع سابق، ص 631.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

الفكر الممكن عند نهاية الفلسفة¹، (علينا أن نقوض المحتوى التراثي للأنطولوجيا القديمة إلى أن نصل إلى تلك التجارب الأصلية)² يعكس هذا القول قلب مشروع هايدغر القائم على التقويض الإيجابي للتراث، ويدعم العنوان الذي يشير إلى أن قراءة هايدغر لا تنفصل عن التاريخ، بل تتبع من محاولته الكشف عن الأصل الأنطولوجي المغيّب في تاريخ الفكر التقويض هنا لا يعني الهدم، بل الكشف عن الأسس الأولى التي تم طمسها، يميز هايدغر بين تاريخين: تاريخ الكينونة، وتاريخ الكائن، التاريخ الأخير هو تاريخ العدمية حيث يُنظر إلى الكائن من حيث نفعه ووظيفته، لا من حيث حضوره في الكينونة وهذا التوجّه قد بلغ أوجه في الحداثة التقنية (فنهاية الفلسفة مؤذنة بانتصار العلم التقني حيث يكون من مصير الفلسفة أن تتحل إلى علوم مستقلة)³ وهنا يتضح كيف أن الفلسفة الغربية بانشغالها بالكائن، قد نسيت السؤال الأساسي: ما الكينونة؟ فالمشكلة ليست في المعرفة، بل في الانتماء إلى الكينونة ولهذا لا بد من القفزة بعد الانتماء إلى الكينونة ولهذا، لا بد من القفزة التي تدعو إلى العودة إلى الينابيع الأولى للتفكير، أي إلى الفكر اليوناني قبل سقراط، حيث لم تكن الكينونة قد غُيّبت بعد.

(لكن هذه كلها تبقى غير مستفهم عنها من حيث وجودها وبنيتها، وطبقاً لطريقتها المحكمة للغاية التي ضيع فيها سؤال الوجود)⁴، يرتبط هذا الاقتباس مباشرة بمفهوم نسيان الكينونة عند هايدغر، وهو ما يقصده عندما يتحدث عن تحوّل الفلسفة إلى أنثروبولوجيا أو تقنية يشير الاقتباس إلى انزلاق الفلسفة نحو مفاهيم كالشخص والروح دون مساءلتها أنطولوجياً، مما يرسخ "العدمية" التي يحذر منها هايدغر.

¹ - محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر المرجع السابق، ص 633.

² -مارتن هايدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، مصدر سابق، ص 20.

³ -محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص 631.

⁴ -مارتن هايدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، مصدر سابق، ص 19.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

هيدغر لا ينظر إلى نيتشه كقاطع مع الميتافيزيقا بل كمتممٍ لها، بمعنى أدق، نيتشه هو المفكر الذي أوصل الميتافيزيقا إلى نهايتها القصوى من داخلها، فعلى الرغم من ثورته المفاهيمية خصوصاً في مفهوم "إرادة القوة" و"العود الأبدي"، فإنه بحسب هيدغر لا يخرج عن أفق التفكير الميتافيزيقي القائم على مركزية الكائن، بل إنه يجذر هذا الأفق ويغلقه (فقد أراد بجدية كاملة أن يفحص عن أسباب فشل التفكير الأنطولوجي كما تجلى في تاريخ الفلسفة الغربية)¹، هذا الاقتباس يسلط الضوء على وظيفة هيدغر في نقد الفلسفة الغربية بأسرها، وهو ما يتماشى مع قراءته لنيتشه كجزء من مأزق الأنطولوجيا لا كحل له، فنيتشه - عند هيدغر - لم يخرج من الأفق الميتافيزيقي، بل كرّسه عبر "إرادة القوة" و"العود الأبدي" (إن نيتشه دمج "الصيرورة" ذاتها بدمغة "الكينونة"، فبناء الكائن عنده هو أنه إرادة قوة، ونمط هذه الإرادة أنها لا تقتأ تعود)²، في هذا القول، يرى هيدغر أن نيتشه وحدّ بين الكائن والصيرورة في صورة متطرفة من إرادة القوة، لكنه لم يخرج من البنية الميتافيزيقية التي تؤسس الكائن على حساب الكينونة بذلك، فإن عودته إلى الأصل لم تكن عودة إلى فجر الكينونة بل كانت عودة دائرية مغلقة على نفسها، والنتيجة؟ انطماس تام لمسألة الكينونة.

وهكذا تصبح فلسفة نيتشه ذروة اكتمال الميتافيزيقا، والمرحلة التي تُغلق فيها كل إمكانيات التفكير الفلسفي القديم، وهو ما يجعل نيتشه في نظر هيدغر آخر ناظر ميتافيزيقي.

(اختفى نيتشه من انشغالات هيدغر لفائدة أرسطو وكانط والفينومينولوجيا، ولكن ظل يثوي خلفها ويحركها)³، رغم ابتعاد هيدغر الظاهري عن نيتشه، فإن فكر نيتشه بقي مؤثراً في

¹-مارتن هيدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير المصدر السابق، ص23.

²-محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هيدغر، مرجع سابق، صص 629-630.

³-محمد الشيكور، في الفلسفة الألمانية: هيدغر ضد نيتشه، منشورات الزمن، الكتاب الخامس والثلاثون الرباط، المغرب، 2013، ص34.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

الخلفية، هذا يوضح أن تجاوز الميتافيزيقا الانتشوية هو مسار طويل ومعقد، يبدأ من نقد الوجود التقليدي لكنه يحتاج إلى كشف أكثر أصالة كما سيطوره هايدغر لاحقاً.

يرى هايدغر أن تاريخ الفلسفة الغربية ليس إلا تاريخ نسيان الكينونة، حيث تم استبدال سؤال "ما الكينونة؟" بسؤال "ما الكائن؟". وبهذا، تراجعت العلاقة الحقيقية بالكينونة لصالح ما هو نافع ووظيفي وتقني، وهو ما يسميه هايدغر تاريخ العدمية.

(وما من محاولة تفكير فلسفية، بعد هذه النهاية، إلا وشأنها أن تؤدي إلى محاولات "إحياء" تبعية، وإلى ظهور فلسفات جديدة في حلة قديمة، وإلى تكرار الحديث عن "بعث الميتافيزيقا")¹، هايدغر لا يرى أن تجاوز نيتشه للميتافيزيقا كان حقيقياً، لأنه لم يتوجه إلى الكينونة، بل إلى الكائن، ولكن بشكل جديد، بهذا، فإن فلسفة نيتشه، بدلاً من أن تعيد فتح سؤال الكينونة، ساهمت في تعميق نسيانها، حتى أصبحت الأنطولوجيا تنحل إلى مجرد أنثروبولوجيا، أي إلى علم عن الإنسان ككائن من بين الكائنات، مسقطاً السؤال عن كينونته الخاصة، هايدغر يرى أن كل تفكير فلسفي لا يستطيع أن يتجاوز الميتافيزيقا إلا إذا قام بما يسميه القفزة، وهذه القفزة ليست رفضاً للتراث، بل عودة أصيلة إلى منابعه الأولى، وإعادة التفكير فيه من جهة الكينونة لا الكائن، (فالقفزة هي التي بمكنتها أن تدع ورائها ما تدعه، وألا تنتظر شيئاً من التعلق بالكائن، بما التعلق "سقوط"، وبما السقوط كنه الميتافيزيقا الحق، وإنما تقفز إلى الانتماء للكينونة في تبيدها)²، هايدغر لا يدعو إلى التخلي عن التراث، بل إلى إعادة تأويله وهو ما يسميه التقويض الإيجابي، فالتفكير في الكينونة لا يمكن أن يبدأ من فراغ، بل يجب أن يُبنى على تفكير دقيق للتقاليد الفلسفية السابقة، من أجل استخراج اللحظات التي لامست الكينونة فعلياً، كما هو الحال في الفكر اليوناني قبل السقراطي، (في العصر الوسيط سؤال الحقيقة يكمن في هذا التعيين لمعان وانعكاس لتجربة لماهية الحقيقة أكثر أصلية في

¹ -محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص 631.

² -مرجع نفسه، ص 638.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

بداية الكينونة اليونانية)¹، يبين هذا المقطع كيف أن تصور الحقيقة كمطابقة بدأ منذ الفلسفة الإغريقية واستمر عبر العصور نيتشه سيفكك هذا التصور الجوهرية، معتبراً أن الحقيقة ليست انعكاساً لجوهر ثابت، بل نتاج تاريخي للقيم الإنسانية المتغيرة، مما يساهم في نهاية الميتافيزيقا التقليدية.

الانطماس الكلي الذي تسبب فيه اكتمال الميتافيزيقا مع نيتشه لا يعني نهاية الفكر، بل إمكان انبثاق جديد له، لكن بشرط أساسي العودة إلى الأصل، وهايدغر يُصرّ على أن هذا الأصل لا يوجد إلا في البدء الإغريقي الذي شهد ولادة السؤال الأنطولوجي، قبل أن يطغى عليه التفكير التقني والوظيفي.

(إنما القفزة هي قاعدة الفكر وقانونه وناموسه، ذاك علمناه العود على البدء، يعني العودة إلى فجر الفكر اليوناني)²، في هذا الإطار، لا تبدو نهاية الفلسفة نهايةً للفكر، بل لحظة مفصلية تدعو إلى فتح أفق جديد، يكون فيه سؤال الكينونة هو أساس كل تفكير. لهذا، يعتبر هايدغر أن القفزة خارج الميتافيزيقا هي حدث تاريخي للكينونة، وليست مجرد خيار فلسفي فردي، بل ضرورة وجودية للبشرية، (يؤكد هايدغر أن منهجه في التقويض لا بد من أن يكون في أفق توجهه نحو المشكل المركزي، أي مشكل زمانية الوجود)³، هذا الاقتباس يمثل دعوة هايدغر للانفصال عن الميتافيزيقا وبدء تفكير جديد، وهو ما يعكس دعوته إلى العودة إلى البدايات الأصلية قبل سقراط هنا تظهر محاولة هايدغر لإقامة فكر غير فلسفي تقليدي، ينطلق من الكينونة والزمن بدل الكائن والمقولات المجردة.

¹-مارتن هايدغر، السؤال عن الشيء، ترجمة إسماعيل المصدق، مراجعة موسى وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص161.

²-محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص 640.

³-مارتن هايدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، مصدر سابق، ص23-24.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

يُميز هيدغر تمييزاً جوهرياً بين "نهاية الفلسفة" و"نهاية الفكر" فالفلسفة، بحسبه، قد بلغت أقصى إمكاناتها مع نيتشه، لكنها بذلك وصلت إلى نهايتها الداخلية، أما الفكر، فإنه يستمر، بل ويبدأ من جديد، حين تُغلق دائرة الميتافيزيقا، (نهاية الفلسفة لا تعني نهاية الفكر إنما ديدن الفكر أن يسير نحو بداية أخرى)¹، بهذا تصبح لحظة نهاية الفلسفة لحظة انفتاح على إمكان جديد إمكان لا يصير في طريق الفلسفة التقليدية، بل في طريق فكر آخر لا يشتغل على الكائن بل على الكينونة، وهذا ما يسميه هيدغر أحياناً الإصباح الثاني، أو البدو المُستأنف. ينظر هيدغر إلى لحظة اكتمال الفلسفة بوصفها لحظة "تاريخ الكينونة" نفسه، ويصفها بلغة إسكاتولوجية (أخرية)، ولكن بمعناها الفلسفي لا الديني. هذه النهاية لا تشير إلى زوال كل فكر، بل إلى أن الكينونة قد "اجتمعت" مع ذاتها في صورة جديدة، (إن القول بأمر "النهاية"، "والآخر و"الأخير"، والاكتمال" إنما هو يعني اجتماع الكينونة لتوديع كنها الميتافيزيقي)²، فما دام الفكر ظل طوال تاريخه حبيس الميتافيزيقا، فإن نهايتها ليست سوى انفتاح أولي على "مجال آخر"، هو مجال الكينونة، الذي حجبته تاريخ الفلسفة من هنا، تصبح النهاية في فكر هيدغر، لا موتاً، بل علامة ولادة.

يرى هيدغر أن تجاوز الميتافيزيقا لا يكون بإنكارها أو نقدها فحسب، بل بإحداث القفزة نحو الكينونة. وهذه القفزة ليست انقطاعاً عن الماضي، بل هي عودة إلى الينابيع الأولى، إلى "الفكر الذي كان ولكن بقراءة جديدة، (إن من شأن تلك القفزة ألا تظل قفزة إلا بقدر ما يكون شأنها أن تحفظ الذكرى)³.

يؤكد هيدغر أن مصير الفلسفة كان الانحلال إلى علوم مستقلة - أنثروبولوجيا، سيكولوجيا، لكنها لم تعد قادرة على احتضان سؤال الكينونة بهذا، تكون قد أتمّت مهمتها،

¹ محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص 632.

² -نفسه صفحة نفسها.

³ -نفسه ص 640.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

وسلّمت الرؤية إلى شكل جديد من الفكر، (إن هذا الكتاب يضع بين يدي القارئ العربي مفاتيح قراءة هيدغر لنيتشه أو لما ينعتة فيلسوف الغابة السوداء بالميتافيزيقا الننتشية في تمام تشكلها وفي ذروة اكتمالها)¹، هذا النص يؤكد أن هايدغر لا ينظر إلى نيتشه كقاطع مع الميتافيزيقا فحسب، بل كمن يبلّغها ذروتها واكمالها. هنا يكمن قلب الطرح الهيدغري الذي سيتعامل مع نيتشه باعتباره خاتمة الميتافيزيقا، وهو ما يسهم في فهم كيف يتجاوز نيتشه هذه الميتافيزيقا عبر إعلان نهايتها من الداخل.

(إنه إذن عودة للماضي في زمن المستقبل، وهو التعليم الأساسي لزارادشت في تأويل هيدغر، من هو زارادشت نيتشه؟ إنه المعلم الذي يعلم المذهب الذي يحرر من روح الانتقام)² في هذا المقطع، نرى كيف أن تجاوز الميتافيزيقا عند نيتشه يرتبط بتجاوز النظرة الانتقامية للوجود والماضي، وذلك عبر مفهوم "العود الأبدي" هنا تحرر الذات من أوهام الغائية الميتافيزيقية، فتتجاوز الزمن الخطي التقليدي الذي فرضته الميتافيزيقا.

(فكر متحرر من الميتافيزيقا ومتحلل من أحابيلها وعلامة على فكر الاختلاف المرتفع عن ميتافيزيقا الهوية والذاتية)³، نيتشه هنا يوصف كمفكر متحرر من البنية الميتافيزيقية التقليدية المبنية على الهوية والذات، فرفضه لفكرة الجوهر الثابت والذات الواحدة يجسد تجاوزاً عملياً للميتافيزيقا كما فهمها التقليد الغربي، (إن مقولة التكرار التي تؤسس نظرية التحليل النفسي ستجد نفسها في أمس الحاجة إلى الأنطولوجيا الأساسية لكي تجيب على أسئلتها الأولى)⁴

¹-محمد الشيكور، في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نيتشه، مرجع سابق، ص 07.

²- إسماعيل مهانة، الكينونة واللاوعي، مقال في كتاب جماعي (من الكينونة إلى الأثر هايدغر في مناظرة عصره)،

دار ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ط1، 2012، ص 115.

³-محمد الشيكور، في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نيتشه، مرجع سابق، ص 17.

⁴-المرجع نفسه، ص 7.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

هيدغر يقارن هنا بين الحاجة إلى فهم التكرار في التحليل النفسي وحاجة نيتشه إلى تجاوز الميتافيزيقا، فكما أن التكرار يتطلب خلفية أنطولوجية، كذلك تجاوز نيتشه للميتافيزيقا يتطلب إعادة تأصيل السؤال حول الكينونة بعيداً عن التصورات الميتافيزيقية الثابتة.

(هكذا تقرر القانونية الداخلية المحضة للعقل انطلاقاً من مبادئه ومفاهيمه الأساسية حول كون الكائن، حول شيئية الأشياء، في هذه المعرفة العقلية المحضة يجب أن تتال الحقيقة عن الكائن بالنسبة إلى كل عقل بشري تأسيسها وشكلها كيقين غير قابل للشك ملزم للجميع)¹، هنا نرى تأكيد الميتافيزيقا الحديثة على العقل كمرجعية وحيدة للحقيقة. نيتشه سيهاجم هذه الثقة المطلقة بالعقل، معتبراً أن الاعتماد الحصري على الفكر العقلاني الجامد هو قيدٌ على الإرادة الإنسانية وحياتها، معلناً بذلك تجاوز الأسس التقليدية للميتافيزيقا التي تؤله العقل على حساب الحياة.

(قدرة هايدغر ونيتشه على زحزحة الميتافيزيقا وتقكيك ثوابتها جعلت البعض يعتبرهما وجهين مختلفين لمهمة واحدة)²، رغم اختلافهما، يُوضع كل من هايدغر ونيتشه في خانة واحدة كونهما سعياً إلى زحزحة الأسس الكبرى للميتافيزيقا الغربية نيتشه خصوصاً يفتح إمكان التفكير فيما بعد الميتافيزيقا من خلال النقد الجذري لقيم الحقيقة والثبات.

(إن النسيان متضمن في الاختلاف الأنطولوجي، فكل ما يوجد (الموجود) ينطوي على ماهية تامة وناجزة، أما ما ليس له أية ماهية فهو الواقع الإنساني)³، يبرز الاقتباس أن نيتشه كما يفهمه هايدغر يعتبر أن نسيان الوجود هو من صلب مأساة الميتافيزيقا تجاوز الميتافيزيقا إذن، هو تذكير بالوجود المختلف عن مجرد الموجودات الثابتة، وهو عودة إلى حقيقة الإنسان بوصفه واقعاً مفتوحاً لا يقبل التحديد الميتافيزيقي النهائي.

¹ -مارتن هايدغر، السؤال عن الشيء، مصدر سابق، ص162.

² -محمد الشيكور، في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نيتشه، مرجع سابق، ص 17.

³ -إسماعيل مهنانة، الكينونة واللاوعي، ضمن كتاب جماعي من الكينونة إلى الأثر، مرجع سابق، ص117.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

(الطابع الذي أعطاه إياها لايينتز وفولف مسيطرة إلى درجة أن كنت حتى في الوقت الذي بلغ فيه الموقع الجديد لفلسفته، أي بعد ظهور نقد العقل المحض والمؤلفات اللاحقة، ظل متمسكاً بالعرف)¹، هذا الاقتباس يبرز هيمنة التقاليد الميتافيزيقية القديمة حتى على الفلاسفة المجددين ككانط. نيتشه، الذي يتموضع ضد هذا الإرث، يرى أن الإبقاء على هذه العادات الفكرية يعيق التفكير الحر والإبداع الحقيقي، ما يستلزم "قلب القيم" وإعادة تقييم كل المبادئ الفلسفية الموروثة، (إن ما يكتبه هايدغر ليس تدويناً لتراث ولى، بل حوار يقظ مع التراث بوصفه حضوراً لا ينفك يتجدد)²، يتعامل هايدغر مع الميتافيزيقا، بما فيها ميتافيزيقا نيتشه، كشيء حي حاضر، لا كشيء منقضي. نيتشه، ضمن هذا المنظور، لا يدفن الميتافيزيقا بل يكشف عن استمرارها الخفي، مما يفرض تجاوزاً أكثر جذرية.

(وقد تسلم مشعل "الفلسفة" التي أسلمت روحها ها قد تبدى أن إمكان - الفكر - في الفلسفة منذ البدء، وها هو الآن بدأ يأخذ المشعل ولئن كان هايدغر قد نبه منذ بواكر كتاباته)³، وهكذا يكون على الفكر الآخر أن يتقدم، لا باعتباره فلسفة جديدة، بل باعتباره تجاوزاً للفلسفة فالمطلوب، عند هايدغر، ليس إحياء الفلسفة بل الإنصات لما تُنادي به الكينونة، وذلك لا يكون إلا عبر انعطاف أو منعطف يفتح مجاًلاً جديداً للتفكير.

-مارتن هايدغر، السؤال عن الشيء، مصدر سابق، ص157. ¹

-محمد الشيكور، في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نيتشه، مرجع سابق، ص30. ²

-محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص632. ³

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

المبحث الثاني: العدمية وتاريخ نسيان الكينونة

تمهيد.

تُعد العدمية، عند نيتشه، أزمة كبرى تجتاح الحضارة الغربية، تجلت في انهيار القيم العليا وفقدان المعنى، وقد فسرها كأثر لانهيار المرجعيات الميتافيزيقية والدينية، معلناً "موت الإله" كمؤشر على هذه القطيعة القيمية، غير أن هيدغر، في تأويله الراديكالي لنيتشه، يتجاوز التفسير الأخلاقي أو القيمي، ويرى في العدمية تجلياً أخيراً لمسار تاريخي من نسيان الوجود من هذا المنطلق، تصبح العدمية لا حدثاً معزولاً، بل مصيراً أنطولوجياً نتج عن هيمنة الميتافيزيقا الغربية، التي اختزلت الكينونة في الحضور، وانشغلت بالموجودات لا بما يجعل وجودها ممكناً. في هذا المبحث، سنحاول تتبّع لحظات ظهور العدمية بوصفها نتيجة نسيان الكينونة في تاريخ الفكر، كما قرأها هايدغر من خلال أعمال نيتشه، لنكشف البنية الأنطولوجية للعدمية، والحاجة الملحة لإعادة فتح أفق الكينونة الأصلي.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

(لا بد إذاً أن تكون هناك أصالة تواجه عدم الأصالة هذه)¹، في عالم يهيمن عليه التقاهة والامتثال، تبرز الأصالة بوصفها لحظة أنطولوجية للمواجهة مع العدمية تمثل الآنية لدى هيدغر إمكانية الوجود الحق، حين تختار ذاتها انطلاقاً من إمكاناتها، لا من ما تفرضه الجماعة في مواجهة العدمية، لا بد من العودة إلى هذه الإمكانية الأصلية، حيث يبدأ التفكير الحقيقي في الكينونة.

(لقد خضعت الميتافيزيقا بأكملها، وفي جميع عصورها بأشكال مختلفة لسيطرة الفلسفة الأفلاطونية)²، هيدغر يبرز كيف أن العدمية كانت مضمرة في الفلسفة الغربية منذ أفلاطون، عبر تهميش الكينونة لصالح الماهيات الثابتة هذه السيطرة الميتافيزيقية جعلت من الحضور مقياساً لكل شيء، فحُجبت بذلك بنية الكينونة الأصلية، ما مهد للعدمية الحديثة التي وصفها نيتشه، (تأخذ القفزة بالفكر من مجال مبدأ العلة بوصفه المبدأ الأعظم الذي يتعلق بالموجود إلى مجال الكلام الذي يحكي عن الوجود كوجود)³، تجاوز العدمية لا يتم من داخل الميتافيزيقا، بل يتطلب قفزة تفكر أصيلة نحو الكينونة ذاتها هايدغر يدعو إلى التفكير الذي يترك مجال العلل، ليعود إلى ما يؤسس الإمكان نفسه الوجود لا كمفهوم، بل كتجربة كاشفة، (إن اللاخفاء هو بالنسبة للتفكير الأمر الأكثر خفاءً في الكينونة الإغريقية، ولكن في الوقت نفسه ما يحدد منذ وقت مبكر حضور ما هو حاضر)⁴، نسيان اللاخفاء، أي البنية الخفائية للحقيقة، هو بداية نسيان الكينونة العدمية لا تنبع من فقدان شيء مرئي، بل من إهمال البعد الخفي في كل ظهور بهذا الشكل، تتكشف العدمية كبنية تفكير تمحو الغياب لصالح الحضور الشفاف.

¹ -مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاي، دار الثقافة للطباعة والنشر، بالقاهرة، 1977، ص71.

² -علي فتحي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مقال ورد في مجلة الاستغراب، العدد الخامس، السنة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص282.

³ -مارتن هيدغر، مبدأ العلة، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص68.

⁴ -مارتن هايدجر، كتابات أساسية، ترجمة إسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، الجزء الأول، القاهرة، ط1، 2003، ص100.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

(فهو لن يجعل مطلقاً سؤال الروح واحداً من أقطاب الأسئلة الكبرى)¹، هيدغر يرفض الانخراط في مفاهيم الروح الميتافيزيقية لأنها تُغفل سؤال الوجود، العدمية لا تُقاوم باستبدال ميتافيزيقا بأخرى، بل بكسر هذا المنطق من أساسه، والعودة إلى ما يجعل كل سؤال ممكناً: الكينونة، (وأن العدمية تمثل منطق تلك الحضارة ومصيرها؟)²، العدمية ليست اختلالاً عرضياً بل نتيجة حتمية لمسار الحضارة الغربية، إنها ليست فقط تعبيراً عن أزمة في القيم، بل انهيار في بنية التفكير نفسه، الذي تجاهل الكينونة وانغمس في تمثيلات ميتافيزيقية للواقع، (الحقيقة تقيم نفسها في العمل، والحقيقة لا توجد الا بوصفها صراعاً بين البقعة المضئية والخفاء في التناقض بين العالم والأرض)³، في العمل الفني تنكشف الحقيقة بوصفها صراعاً بين الظهور والاحتجاب لكن الميتافيزيقا تجاهلت هذا التوتر، وركزت على ما يظهر فقط، العدمية هي محصلة هذا الانكشاف الأحادي، الذي ينسى أن الحضور لا يتم إلا عبر الخفاء، (لقد ضاع "الناس" في عالمهم_عالم كل الأحاد ولا أحد-)⁴، انغماس الإنسان في العالم التقني جعله ينسى ذاته بوصفه كائناً منفتحاً على الكينونة هذا الاغتراب الوجودي هو جوهر العدمية، حيث يفهم الإنسان نفسه من خلال الأشياء، لا من خلال إمكانيته الأصلية للوجود.

(إن التفكير الآن في الفكر الفلسفي لديه مهمة وعليه واجب ليس في تناول الفلسفة المعادلة للميتافيزيقا، ولا تصل إليه العلوم التي نشأت من رحم الفلسفة)⁵، الفكر العدمي لا يُجابه من داخل العلم أو الميتافيزيقا، بل بتفكير جديد يُعيد الإنصات لنداء الكينونة إن العلم، بتقنيته، يغذي نسيان الوجود، ويُسهّم في الفراغ القيمي العدمي لأنه لا يسأل عن المعنى (الوجود

¹-جاك دريدا، في الروح، هايدغر والسؤال، ترجمة عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص67.

²-محمد أندلسي، أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2015، ص41.

³-مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2003، ص130.

⁴-مارتن هايدغر، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص71.

⁵-علي فتحي، هايدغر ونهاية الفلسفة، مرجع سابق، ص283-284.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

يدوم بوصفه ظهوراً وانحجاباً في آن¹، الظهور لا يعني حضوراً كاملاً، بل يُبقي على غياب عندما ينسى الفكر هذا التوتر، ويختزل الكينونة في الظهور المحض، يخلق أفق التفكير، وتتشكل العدمية كوعي مشلول (الحقيقة هي في ماهيتها لا-حقيقة)² الحقيقة ليست تطابقاً بين الفكر والشيء، بل انكشاف قائم على الخفاء. نسيان هذه البنية يجعل الإنسان يثق بما يظهر فقط، وهنا تبدأ العدمية بوصفها مصادرة للعمق الكينوني، (إن ما هو روحي، حينئذ، لم يعد ينتمي إلى منظومة المعاني الميتافيزيقية)³

كل مفاهيم الروح الموروثة باتت جوفاء، لأنها فقدت أصلها الأنطولوجي، العدمية تكمن في هذا الفراغ الذي تخلفه المفاهيم حين تتفصل عن الكينونة وتُستعمل كرموز فارغة، (لقد أعلم هيدغر أن "نيتشه" يُمثل آخر "الميتافيزيقيين")⁴، هيدغر يرى في نيتشه ذروة الميتافيزيقا لا نهايتها، لأنه رغم نقده للميتافيزيقا، ظل يفكر في إطارها، خصوصاً حين حوّل إرادة القوة إلى مبدأ شامل وبالتالي، ظل أسير البنية التي أنتجت العدمية (الكشف ليس فقط صفة الموجود)⁵، الحقيقة لا تُستنفد في التصنيف العلمي، بل تُحدث كتجربة وجودية حين تختزل المعرفة في نتائج تنشأ العدمية بوصفها هيمنة للجاهز والمبتذل، لا انفتاحاً على الأصل، (لا يعني هيدغر بطبيعة الحال أن يوجه للناس نصائح تفيدهم في التعامل مع الأشياء التي يستخدمونها في حياتهم)⁶، هيدغر لا يسعى إلى توجيه سلوكي، بل إلى انكشاف أنطولوجي العدمي لا يرى في الأشياء سوى أدوات، في حين أن التفكير الهيدغري يكشف أنها تنتمي إلى أفق أعمق أفق الكينونة المنسية، (نهاية الفلسفة لا تعني نهاية التفكير)⁷، النهاية هنا ليست

¹-مارتن هيدغر، مبدأ العلة، مصدر سابق، ص 91.

²-مارتن هيدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص 103.

³- جاك دريدا، في الروح، مرجع سابق، ص 68.

⁴-محمد أندلسي، أقول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مرجع سابق، ص 45.

⁵-مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص 49.

⁶-مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص 60.

⁷- علي فتحي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مرجع سابق، ص 284.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

غيابًا بل بداية، العدمي يرى في انهيار الفلسفة نهاية المعنى، أما هيدغر فيرى أنها تدشين لانفتاح آخر تفكر لا ينسى الوجود بل ينطلق منه، (الوجود والعلة نفس الشيء، الوجود: الهاوية)،¹، عندما يُربط الوجود بالعلة فقط، يتحول إلى مجرد نتيجة ضمن سلسلة أسباب، هذا ما يُفرغ الكينونة من الغموض ويجعلها قابلة للحساب، فتتولد العدمية كفقد للمجهول الأصيل. (تحدث الحقيقة بصفاتها هي ذاتها إذا منح الامتناع المخفي)²، الحقيقة لا تمنح نفسها دفعة واحدة، بل من خلال حجب وامتناع، العدمية تنشأ حينما ننسى هذا البعد ونطالب بالحضور التام، وهو مستحيل أنطولوجيًا،(علينا أن نوضح الأصل الأنطولوجي الذي نفهمه من مفاهيم "الشيء"، "الواقع" أو "الشيئية")³، كل المفاهيم التي نتداولها الشيء، الواقع،... فقدت أصلها العدمية تنشأ حين تتحول هذه المفاهيم إلى قوالب جامدة لا تُردّ إلى ما يؤسسها الكينونة، (بهذا تكون فلسفة "نيتشه" قد استنفذت كل إمكانات الميتافيزيقا)⁴، نيتشه كشف أزمة الميتافيزيقا دون أن يتجاوزها عند هايدغر، هذا الاستنفاد يُظهر أن الميتافيزيقا لا بد أن تؤول إلى العدمية، لأنها تفرغ الوجود من معناه.

إن وجود الإنساني الآني في فهمه الذاتي لوجوده ليست هي معرفة الذات في العقل المطلق عند هيغل، إنه ليس تصميمًا للذات)⁵، الإنسان ليس ذاتًا مُصممة بل منفتحة على الكينونة. الميتافيزيقا حوّلتها إلى مركز للتمثيل، ففقد حضوره الأصيل، وتحوّل إلى أداة في مشروع عدمي شامل، (والآنية عندما تلغي الأبعاد إنما تحاول أن تجعل احتياجاتها في متناول يدها، وغنى من الذكر أن إلغاء الابعاد من أهم الملامح التي تميز عصرنا وحضارتنا)⁶، إلغاء

¹-مارتن هيدغر، مبدأ العلة، مصدر سابق، ص66.

²-مارتن هيدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، 103.

³-جاك دريدا، في الروح هايدغر والسؤال، مرجع سابق، ص71.

⁴-محمد أندلسي، أقول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مرجع سابق، ص45.

⁵-مارتن هيدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص37.

⁶-مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص67.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

الأبعاد يعني فقدان المسافة بين الذات والعالم. التقنية تفعل هذا، فتجعل كل شيء متاحًا، ولكن بهذا تُفرغ الأشياء من سرّها وتُنتج عالمًا عديمًا، (تاريخ الفلسفة كان في الحقيقة "تاريخ نسيان الوجود"، و "المسار الانحداري للفكر من الوجود إلى الوجود"¹، في هذا التكرار تتجلى مركزية فكرة الانحدار من الكينونة إلى الوجود هو ما ولّد العدمية، إنها ليست غيابًا للقيم، بل غيابًا للسؤال الذي يجعل القيم ممكنة، (إننا ما فتئنا نشير دون كلل إلى إشراق الوجود واحتجابه، أو إلى أن إشراق الوجود وظهوره لنا هما في نفس احتجابه)²، الوجود لا يظهر إلا من خلال خفائه العدمي لا يفهم هذا، ويريد كل شيء واضحًا، لذلك يفقد المعنى لأنه لا يصبر على الاختفاء، (في الأثر لا يحدث شيء حقيقي فقط، بل تحدث الحقيقة)³، الفن يكشف الحقيقة لأنه لا يمثل، بل يفتح المجال للاختلاف واللايقين العدمية تزدهر حيث يُغلق هذا المجال لصالح الوضوح المُفرط والتمثيل المُبسط، (فإن تلك المفاهيم تبقى تُمثل إشكالية كبيرة وتصبح بالتالي مفاهيم قطعية جامدة، على الأقل تبقى تلك المفاهيم هكذا من وجهة نظر التجليل الوجودي للدازين "الوجود هناك في هذا العالم")⁴، حين تفقد المفاهيم توترها الأنطولوجي، تتحول إلى أدوات عديمة العمق هذه المجودات تغذي العدمية لأنها تصنع عالمًا بلا سؤال، بلا انفتاح.

(لقد كان السؤال الأساسي المطروح على "هايدغر" في حوار مع "نيتشه"، هو كيف حدث أن الميتافيزيقا التي ابتدأت بالتساؤل عن الكينونة، قد انتهت، بعد اكتمالها مع "نيتشه")⁵، العدمية ليست فقط في النتائج، بل في طبيعة السؤال نفسه، حين يتحول الوجود إلى مجرد موضوع، يكون هذا إعلانًا بانتهاء المعنى من الداخل (هايدغر يتحدث عن فجوة الوجود، التي

¹ - علي فتحي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مرجع سابق، ص 284.

² -مارتن هيدغر، مبدأ العلة، مصدر سابق، ص 68.

³ -مارتن هيدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص 104.

⁴ -جاك دريدا، في الروح هيدغر والسؤال، مرجع سابق، ص 72.

⁵ - محمد أندلسي، أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مرجع سابق، ص 48.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

تشكل الساحة، الذي يتم فيه التعرف على الموجود بوصفه كشفاً، بوصفه موجوداً في حالة كشفه¹، العدمية تنشأ حين ننسى الفسحة التي تسمح بالكشف، حين نغلق الفجوة، فبدلاً من أن يكون العالم مكان انفتاح، يصبح شيئاً متماهياً مع التقنية، (كل إنسان يعمل ما يعمل وكأنه هو ذاته، الناس هم كل الناس ولا أحد)²، الفرد ينمحي في الجمهور العدمي لا يملك ذاته لأنه لا يملك سؤال وجوده، هيدغر يرى أن هذا الانمحاء هو علامة على نسيان الكينونة، (إن السؤال عن ماهية الأمور، سؤال فلسفي لأن الفلسفة هي التي تسأل عن ماهيات الأمور وذواتها، فضلاً عن أننا نعلم أن التعريف هو "بالماهية وللماهية"، وبقينياً الفلسفة ليست من جنس المفاهيم الماهوية)³، الفلسفة الأصلية تسأل عن الكينونة، لا عن تصنيفات الأشياء، العدمية هي نتيجة انتقال الفلسفة من سؤال الوجود إلى التصنيف والتقنية.

(إن الذكر لا يكون باتجاه اشراق الوجود وانتشاره الا انطلاقاً من القفزة، غير أن الدعوة إلى تأويل تاريخ الفكر الغربي في لحاظ تاريخ الوجود)⁴، الذكر هنا هو تذكر الكينونة، لا استحضار معلومات الذاكرة الأنطولوجية هي ما يغيب في العصر العدمي، حيث تسود معرفة بلا جذور (لا يمكن أبداً أن نستخلص الحقيقة مما هو قائم ومعتاد، بل إن افتتاح المجال المفتوح وانفراج الكائن لا يحدث إلا بأن تتم صياغة مشروع الانفتاح، هذا الانفتاح الذي يصلنا من حيث أنه مُلقى به إلينا)⁵، الواقع المعتاد لا يمنح الحقيقة، العدمية تسود حين نحصر أنفسنا في القائم ونرفض الإمكان، وحين نعيش فيما هو بلا رؤية لما يمكن أن يكون، (ولكن كيف وبدون أي تأكيد أولي ودائري، يمكن لنا أن نخضع للتساؤل هذه العلامة المقتبسة داخل بنية

¹-مارتن هيدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص49.

²-مارتن هيدغر، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص71.

³- علي فتحي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مرجع سابق، ص 273.

⁴-مارتن هيدغر، مبدأ العلة، مصدر سابق، ص68.

⁵-مارتن هيدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص118.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

التساؤل والذي من خلاله سوف يتسلم الدازاين "الوجود هناك في هذا العالم"¹، التساؤل الحقيقي لا يبدأ من تعريفات جاهزة بل من انفتاح على الكينونة، العدمي لا يسأل لأنه يرفض الافتتاح، يريد أجوبة جاهزة، ("العدمية" في ماهيتها وحقيقتها، ناجمة عن انحجاب الكينونة)²، هذا هو الجوهر ليست العدمية هي غياب الوجود، بل غيابه خلف حجاب كثيف من التمثلات، المفاهيم، واليقينيات الزائفة، (الإنتاج يضع هذا الموجود في المنفتح يجعل ما يجب احضاره هو الذي يضيئ انفتاح المنفتح)³، الفن يعيدنا إلى الكينونة لأنه يفتح الممكن في المقابل، العدمية تصنع عالمًا من المغلقات، من الأشياء التامة التي لا تتيح انكشافًا، (ولا يقف الأمر "بالناس" عند هذا الحد، إن سيطرتهم تمتد وتتسع فتحد كذلك فهم العالم والذات)⁴، الأنطولوجيا القديمة فشلت لأنها لم تمسّ الآنية. هذا الفشل هو أصل العدمية اختزال الإنسان إلى شيء، وإغلاق أفق الفهم الأصل للكينونة، (لقد فسرت فلسفة هيغل وفلسفة ديلتاي، وتجارب عصر صدر المسيحية أيضاً الحياة الواقعية، بمنزلة الحياة التاريخية، لكن السؤال الذي طرحه هايدغر الشاب على نفسه هو: هل بإمكان الميتافيزيقا ونظرية الوجود أن تأخذ في في الحساب تاريخية الحياة؟)⁵، حتى الذين أدخلوا التاريخ إلى الفلسفة فشلوا في إدراك أن التاريخ نفسه يتطلب بنية أنطولوجية، العدمية تسود عندما يصبح التاريخ مجرد تسلسل، لا سؤالاً عن الكينونة في الزمن.

(يبدأ الاحتجاب الأقصى للوجود مع انتشاره بوصفه موضوعاً أو "موضوعية"، وذلك لأن أصل الوجود يغيب في هذه اللحظة عن الإدراك حتى كسؤال أو كدقيقة جدية بالتقصي)⁶، العدمية تجد أقصى تجلياتها حين يُحوّل الوجود إلى موضوع ما إن يصبح الوجود شيئاً حتى

¹-جاك دريدا، في الروح هايدغر والسؤال، مرجع سابق، ص 73-74.

²-محمد أندلسي، أقول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مرجع سابق، ص 58.

³-مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص 130.

⁴-مارتن هايدغر، نداء الحقيقة، مصدر سابق، ص 71.

⁵-علي فتحي، هايدغر ونهاية الفلسفة، مرجع سابق، ص 269.

⁶-مارتن هايدغر، مبدأ العلة، مصدر سابق، ص 96.

الفصل الثاني: القراءة الهيدغرية لفلسفة نيتشه

ينكفى على نفسه، ويتحوّل الإنسان إلى مستهلك له، (الفن هو الحفظ المبدع للحقيقة في الأثر)¹، الحقيقة لا تتشأ من العدم المطلق، بل من الانفتاح الذي يسمح بظهورها، العدمي لا يعرف هذا، لأنه لا يرى في الفن سوى متعة، لا كشفاً، (يسمي هايدغر في "الكون والزمان" الانتقال من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل "العزم" الذي يقول عنه "منبع الأثر الفني" إنه انتقال الكينونة من الغرق في الكائن على انفتاح الكون)²، العزم هو الاستجابة لنداء الكينونة، هو فعل وجودي لا أخلاقي، يقف في وجه العدمية لأنه يعيد فتح الأفق الذي أُغلق.

(فلسفة نيتشه بالرغم من نقدها للميتافيزيقا، وقلبها للأفلاطونية، إلا أنها -في منظور القراءة الهيدغرية- تنتمي إلى الميتافيزيقا وتندرج ضمن إشكالياتها الأ و هي إشكالية "نسيان الوجود")³، هايدغر يبرهن أن نيتشه لم يخرج من الميتافيزيقا، ولهذا لم يخرج من العدمية، تجاوزها يتطلب التخلي عن منطقها، لا فقط نقدها (بداية هايدغر على أصل العمل الفني هي أن "الأرض" تحديد وجود ضروري للعمل الفني)⁴، الأرض تمثل الغموض، الجذر، الصمت، فالعدمية تطمس الأرض وتبقي على العالم فقط، أي على ما هو ظاهر بهذا، تفقد الأشياء عمقها، ويحلّ فراغ أنطولوجي.

المبحث الثالث: التقنية بوصفها عدمية.

تُعَدّ التقنية الحديثة من أبرز تجليات العدمية في الفكر المعاصر، لا بوصفها أداة مادية محايدة، بل كطريقة انكشاف للوجود نفسه، وقد نظر مارتن هايدغر إلى التقنية من زاوية ميتافيزيقية جذرية، تربطها بنسيان الكينونة، وفي إطار قراءته لفلسفة نيتشه، يكشف هايدغر

¹-مارتن هايدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص118.

²-المصدر نفسه، ص34.

³-محمد أندلسي، أقول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مرجع سابق، ص 59.

⁴-مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص 37.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

عن الطابع العدمي للتقنية باعتبارها ذروة إرادة القوة، حيث يُستبدل الوجود بالحساب، والمعنى بالفعالية، ويُعاد تشكيل الإنسان نفسه وفق منطق التشغيل والإنتاج، في هذا المبحث، نتناول كيف تصبح التقنية، في أفق العدمية، سلطة تتجاوز الإنسان وتُعيد صياغة علاقته بالعالم وبنفسه.

(تظهر نهاية الفلسفة على أنها جناح التنظيم الموجه للعالم العلمي التقني ونجاح ترتيب هذا العالم بما يناسب تنظيم المجتمع)¹، يرى هيدغر أن نهاية الفلسفة تتجسد في سيطرة التقنية على الفكر والمعنى، حيث يصبح العالم منظماً حسب مقتضيات التوظيف والفعالية هذا التنظيم العدمي للعالم يحوّل الكينونة إلى شيء قابل للضبط والتحكم، وهو جوهر العدمية التقنية التي أفقدت الوجود حضوره الأصلي (يمكن حصر التقنية الحديثة في أربعة خصائص أساسية، تميزها عن التقنيات القديمة: التجميع أو التخزين، الاستفزاز، الكشف، وأخيراً المصادرة أو القشتال)²، لكن هيدغر يحدد أهمها في فعل القشتال أي الحجز أو التمرکز للوجود مما ينسجم مع العدمية، إذ تُختزل الكينونة إلى موارد وظيفية، هذه الخصائص تعكس تحكماً عدمياً بالعالم حيث يصبح الوجود شيئاً قابلاً للهيمنة والتنظيم، لا غاية في ذاته.

يقول هيدغر في هذا الصدد (التقنية وماهية التقنية ليستا نفس الشيء)³، (بل هي ميتافيزيقا، وما هو ميتافيزيقي في التقنية هو كونها حجبت الوجود الطبيعي للإنسان ودفعته إلى الارتباط بعالم معد بشكل اصطناعي ومتحكم فيه بشكل آلي وبالتالي سلبت من الإنسان حريته ووجوده الطبيعي الحر، وهكذا فإن ماهية التقنية ليست البتة تقنية)⁴، لذلك يرى هيدغر

¹ -مارتن هيدغر، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، مصدر سابق، ص57.

² -إسماعيل مهنانة، الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 1433هـ-2012م، ص112.

³ -مارتن هيدغر، التقنية-الحقيقة-الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص43.

⁴ -لكحل فيصل، مهمة الفلسفة إزاء المجتمع والتقنية والكائن، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، العدد 10 ديسمبر 2016، ص279.

الفصل الثاني: القراءة الهمدغرية لفلسفة نيتشه

أن التقنية ليست مجرد أدوات أو وسائل بل تحجب فهمنا الحقيقي للوجود، حين نختزل التقنية إلى وظيفتها العملية، نغفل عن بنيتها الميتافيزيقية، وهذا التمويه هو شكل من العدمية لأنه يعطل تفكير الإنسان في كينونته الحقّة ويجعله تابعاً لتصور أداتي ضيق، (لقد ترجم إنسان القرن العشرين المثال العقلاني للتقدم اللانهائي إلى فكرة السيطرة الكاملة على الأرض، وحتى على النظام الشمسي)¹، حيث يكشف مظهراً من مظاهر العدمية الحديثة كما يراها هيدغر تحويل الإنسان إلى مركز للسلطة والتحكم، وبالتالي نسيانه لانتمائه للوجود، التقنية هنا تمثل تجلياً لهذه العدمية، إذ تحوّل الطبيعة إلى موضوع خاضع، وتفضل الإنسان عن الجذور الوجودية (أما العلم فليس حدوثاً أصلياً للحقيقة، بل إن كل علم ليس سوى توسيع مجال للحقيقة، مفتوح سلفاً، وذلك بالضبط بواسطة إدراك وتأسيس ما يظهر في دائرته صائبا بالإمكان أو الضرورة)²، هنا يفرق هيدغر بين الحقيقة الأصلية والصواب العلمي التقنية، وهي مولودة من رحم العلم، تقوم على تمثيلات صائبة لا على كشف حقيقي للكائن، هذا ما يجعل التقنية أداة عَدَمية هي تمارس علماً بلا حقيقة، نمطاً من الاكتشاف ينفي الكينونة ويعزز فقدان المعنى الأصيل.

(عالم خرق القاعدة الإنسانية وخرج عن المؤلف بفضل التقنية التي أصبحت تسيطر عليه، والتي وجد فيها الإنسان الجديد متعة في التعامل معها)³، تشير التقنية إلى تحوّل جذري في علاقة الإنسان بعالمه، فبعدما كانت مجرد وسيلة، أصبحت نمطاً من السيطرة والاستهلاك وهذا يتقاطع مع مفهوم العدمية عند هايدغر، حيث تفقد الأشياء معناها الأصيل، ويصبح الوجود مجرد مورد قابل للاستغلال، التقنية هنا ليست حيادية، بل تجسد انكشافاً عديمياً للعالم

¹- Zimmerman,M,E. *Heidegger on nihilism and technique*. November 1975, p394, <https://doi.org/10.1007/BF01256736>.

²-مارتن هايدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص 110.

³-إبراهيم احمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 1427هـ-2006م، ص94.

الفصل الثاني: القراءة الهمدغرية لفلسفة نيتشه

(إن ماهية التقنية إذن هي شكل من أشكال الوعي التقني)¹، هنا نقرب من المفهوم العدمي للتقنية كوعي مشوّه، شبيه بما وصفه نيتشه من اختزال العالم إلى تمثيلات وقيم نفعية، التقنية ليست مجرد أدوات، بل بنية وعي تشكل رؤية عَدَمية للعالم، تنفي إمكانية التجلي الأصيل للوجود.

(الحقيقة هي لا - حقيقة من حيث إنه ينتمى إليها المجال الذي يأتي منه ما لم ينكشف بعد، الحقيقة هي النزاع الأصلي الذي يتم فيه كل مرة بكيفية ما انتزاع المجال المفتوح الذي إليه يلج ومنه يرتد إلى ذاته كل ما يتبدى و ينسحب بصفته كائناً)²، هيدغر يفهم الحقيقة كصراع بين الانكشاف والاختفاء، لا كتمثيل مطابق للواقع التقنية، في هذا الإطار، تُختزل إلى نمط خاص من الانكشاف يغلق هذا النزاع ويختزل الكينونة إلى حسابية/وظيفية، وهو ما يتطابق مع العدمية النيتشوية حيث الحقيقة تُلغى لصالح القوة والتوظيف، التقنية الحديثة تخنق هذا الصراع، وتقدم ما هو كائن كمخزون فقط، أي كحقيقة ميتة، (يمكن أن نسمي التصور الجاري للتقنية وسيلة وفعالية إنسانية، بالتصور الأداتي والأنثروبولوجي للتقنية)³، هيدغر ينتقد التصور الشائع الذي يرى في التقنية مجرد أداة لخدمة الإنسان لأنه يُخفي بعدها الانطولوجي، هذا الحصر الأداتي يعكس نوعاً من العدمية، لأن الإنسان لا يعود يفكر إلا في المنفعة والاستخدام، فيفقد صلته بالحقيقة والكينونة الأصيلة، (ينسى الإنسان انتماؤه إلى الوجود وأساسه النهائي فيه)⁴، ينبّه هيدغر إلى أن التقنية ليست فقط أدوات مادية بل تؤدي إلى نسيان الوجود، وهو جوهر العدمية، هذا النسيان لا يعني غياب المعرفة، بل غياب التأمل في المعنى، حيث تتحول الكائنات إلى موارد، ويغيب سؤال: لماذا هناك وجود أصلاً؟

¹-إسماعيل مهنا، الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص 114-115.

²-مارتن هيدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص 109.

³-مارتن هيدغر، التقنية-الحقيقة-الوجود، مصدر سابق ص44.

⁴- Zimmerman. M.E. Heidegger on nihilisme and technique. Opcit, p 398

الفصل الثاني: القراءة الهمدغرية لفلسفة نيتشه

(الإنسان في رأي الوجوديين يقف على مدخل عصر جديد فالإنسان كما قالوا يمسك أو يوشك أن يحكم بزمام قوة جديدة يسيطر بها على نفسه، وعلى بيئته، تلك القوة التي لن تلبث أن تحول شكل الوجود الإنساني)¹، هنا يعكس الانتقال الأنطولوجي الذي تُحدثه التقنية، فهيدغر يرى أن التقنية تقود إلى إعادة تشكيل الوجود الإنساني، لا كتطور، بل كتحول في معنى الكينونة نفسها، وهذا التحول العدمي يعني انزلاق الإنسان إلى نمط وجودي يفقد فيه علاقته الأصلية بالوجود، (يعبد هيدغر الدرب لتفكير ماهية التقنية باعتبارها ليست شيئاً تقنياً، ومعنى ذلك أن إرادة الإرادة الثاوية في الهيمنة الكوكبية للتقنية تتجاوز بكثير إرادة الأشخاص وسياسة الحكومات، بل تتجاوز قرارات الهيئات الدولية والعالمية: "لا توجد هناك أية منظمة إنسانية مؤهلة لقيادة مرحلتنا التاريخية")²، هذا يتطابق تماماً مع قراءة هيدغر لنيتشه، حيث تصبح إرادة القوة شاملة، غير خاضعة للقرار البشري، التقنية ليست مجرد اختيار بل قدر أنطولوجي، والعدمية هنا تتمثل في هذا القدر الذي يُقصي الكينونة باسم السيطرة.

(وهكذا فإننا لن ندرك أبداً علاقتنا بماهية التقنية طالما اقتصرنا على تمثيلها وممارستها، وعلى محاولة التلاؤم معها أو الهروب منها ومهما فعلنا فسنبقى خاضعين للتقنية ومحرومين من الحرية)³، يعكس هذا الاقتباس التصور الهمدغري للتقنية كقوة مهيمنة غير واعية تخضع الإنسان، تماماً كما وصف نيتشه العدمية بكونها سيادة لقيم فقدت قدرتها على خلق المعنى، الخضوع للتقنية يعادل هنا الخضوع للعدم الذي يفقد الإنسان حريته الأصلية، (عندما يُنسى الوجود، ينشغل الإنسان كما يشهد تاريخ الغرب كلياً بغزو الكائنات، بما فيها نفسه)⁴، يؤكد هذا المقطع الطابع العدمي للتقنية: حين يُنسى الوجود، يصبح كل شيء الإنسان نفسه مجرد

¹-إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتين هيدغر، مرجع سابق، ص 106.

²-إسماعيل مهناة، الوجود والحدث هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص 117.

³-مارتن هيدغر، التقنية-الحقيقة-الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت،

لبنان، ص 43-44.

⁴ -Zimmerman.M.E .Heidegger on nihilism and technique.opcit.p405.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

كائن قابل للتوظيف، وهكذا تتحول التقنية إلى قوة كلية مهيمنة تحوّل الإنسان إلى مورد آخر، وتفرغ الوجود من معناه، (إن الآلية الحديثة شكل من أشكال الممارسة، وهي حلول لممارسة جديدة، فليس ماهية الآلية تحويلاً للأداة إلى آلة بقدر ما هي قائمة في طبيعة الآلة ذاتها)¹، هنا ينتقد هيدغر الفهم السائد بأن التقنية مجرد تطبيق للعلم، ويؤكد أنها ممارسة ذات جوهر مستقل، تجسد رؤية عَدَمِيَّة ترى العالم ككائن قابل للقياس والسيطرة، هذه الميتافيزيقا التقنية تعكس إرادة القوة التي تحدث عنها نيتشه، وتظهر التقنية كامتداد عدمي لها.

(إن التقنية شكل من أشكال الانكشاف، فهي تنشر كينونتها في المنطقة التي وجد فيها الانكشاف، واللاتحجب، والاليتيا أي حيث وجدت الحقيقة)²، يربط هايدغر التقنية بمفهوم الحقيقة كلاحجب، مما يجعلها على غرار العدمية تكشف الواقع بطريقة تختزله إلى أداة أو وظيفة، ما تتكشف عنه التقنية الحديثة ليس الوجود بل المخزون وهو ما يلتقي مع رؤية نيتشه عن موت الإله حيث يُختزل العالم إلى قيم استعمالية، (إرادة المعرفة هنا إرادة القوة وتمكن، والمعرفة العلمية ذاتها لم تصح رياضية إلا بالارتباط مع هذا الصراع وبغية السيطرة، بهذا سيتغير مفهوم الانكشاف، ويصبح "مجرد فعالية وتأثير")³، هنا الكاتب صريح في ربط التقنية بإرادة القوة النيتشوية، حيث تصبح المعرفة وسيلة للهيمنة لا للفهم، هذا هو جوهر العدمية التقنية، التشييء الكلي للعالم والإنسان، التقنية تُفرغ الوجود من معناه، وتُخضعه لمنطق المنفعة والسيطرة.

(من الكيفيات الأساسية التي ترتب بها الحقيقة ذاتها في الكائن المفتوح بفضلها وضع الحقيقة لذاتها في الأثر، والفعل المؤسس للدولة هو كيفية أخرى لحدوث الحقيقة، فكيفية أخرى

¹ -إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر، مرجع سابق، ص 109.

² -مارتن هيدجر، التقنية-الحقيقة-الوجود، مصدر سابق، ص 54.

³ -إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر، مرجع سابق، ص 109-110.

الفصل الثاني: القراءة الهمدغرية لفلسفة نيتشه

أيضاً للمعان الحقيقية هي القرب مما هو ليس كائناً وحسب بل الأكثر كوناً في الكائن¹، يسلط الضوء على التوتر بين التفكير الفلسفي والعلم التقني، الفلسفة تتساءل وتفتح أفق المعنى، بينما يغلق العلم - ومنه التقنية - هذا الأفق، التقنية بوصفها استمراراً للعلم تحجب هذا التساؤل، وتُقصي إمكانية الحقيقة الأصل، وهو ما يجعلها نموذجاً للعدمية الحديثة، (بات القشتال إذن، إيقافاً للأرض وحجز لها، ومصادرتها لصالح التقنية، والإنسان كجزء من الأرض يطاله الحجز والمصادرة في ماهيته الأكثر حميمية)²، القشتال يمثل ذروة العدمية التقنية، فالطبيعة، كأرض ووجود، تُختزل إلى مخزون قابل للنهب، هذه الرؤية تتجاوز نيتشه في التشخيص، لكنها تظل وفيه له في كون التقنية هي تعبير عن موت المعنى وتفرغ العالم من قدسيته، (إن الانكشاف الذي يسود التقنية الحديثة لا يتجلى في إنتاج، بمعنى إنتاج شعري، الانكشاف الذي يسود التقنية الحديثة هو عبارة عن تحريض عن طريقه تكون الطبيعة منذورة إلى تقديم طاقة)³، يشير إلى كيفية تحول الإنسان إلى كائن محرض للطبيعة لاستثمارها واستغلالها، هذا الاستدعاء يعبر عن علاقة عدوانية تجاه الطبيعة، ويجعل الوجود برمته قابلاً للسيطرة، مما يعكس حالة عدمية يتوارى فيها المعنى الأصل للوجود خلف نزعة التملك.

(في نهاية الميتافيزيقا، تقف الجملة التالية: الإنسان وحشي)⁴، في هذا التوصيف الكاشف، نرى كيف ترتبط التقنية بالوحشية العقلانية التقنية تُفرغ الإنسان من بعده الوجودي، ليصبح أداة للقوة، هذه الوحشية ليست مجرد سلوك، بل نمط وجود عديمي يُستكمل في منطق التقنية الحديثة، (الماضي والمستقبل لا يتجلبان لنا أصلاً كمقطعين للزمان، بل كبعدين لكوننا الممكن، يتوفر الكون الممكن على هذين البعدين لأنه مشروع ملقى به ونظراً لأننا ملقى

¹-مارتن هايدجر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص 110.

²-إسماعيل مهنا، الوجود والحادثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص 114.

³-مارتن هايدجر، التقنية-الحقيقة-الوجود، مصدر سابق، ص 55.

⁴ -Zimmerman.M.E.Heidegger on nihilism and technique, op cit.p411.

الفصل الثاني: القراءة الهمدغرية لفلسفة نيتشه

بنا، فإننا نجد أنفسنا بطريقة لا محيد عنها في وضعيات مشروطة بالماضي)¹، هيدغر يعيد فهم الزمان كامتداد وجودي، التقنية تقطع هذا الامتداد، إذ تحصر الإنسان في الآن الوظيفي والمردودية، مفصولة عن الجذور والمآلات، هذا الانفصال الزمني هو صورة عَدَمية لوجود مبتور عن الحقيقة والزمن الأصيل، كما في تشخيص نيتشه لانتهيار المعنى عبر الزمان الحديث.

يرتبط اللوجيستيك كتنظيم رياضي للعالم، ارتباطاً وثيقاً بالعدمية، إذ يُفرغ الوجود من طابعه الحدتي أو الشعري، ويجعله مجرد حساب، هذا المنظور ينسجم مع هيدغر ونيتشه معاً، حيث تنتصر العدمية عبر اختزال العالم إلى ما هز قابل للتكميم (إن اللوجيستيك هو العمود الفقري، أو الهيكل العظمي للتقنية)²، كذلك مصطلح الاستفسار يُظهر كيف أن التقنية تُخضع الإنسان ضمن مخطط عدمي يستبطن إرادة للسيطرة والتسخير، على نحو يجعل كل وجود مجرد مادة للاستغلال، بذلك يلتقي هيدغر مع نيتشه في رؤية العدمية كقوة مُدمرة للكينونة الأصلية حيث يقول هيدغر في هذا الصدد: (النداء المحرض الذي يجمع الإنسان حول مهمة لتسخير التعامل مع ما ينكشف على أنه مخزون نسميه الاستفسار)³.

(هذا الاندفاع غير المشروط نحو تعظيم السلطة هو الشوكة الخفية في خاصرة الإنسان المعاصر)⁴، تشير هذه العبارة إلى المظهر الأخطر للعدمية التقنية، حيث تصبح الإرادة للسلطة هي المحرك الخفي لكل تقدم تقني، التقنية إذًا ليست محايدة، بل تعبّر عن نزعة إنسانية عَدَمية تسعى لفرض السيطرة، حتى على حساب كينونة الإنسان نفسه، كذلك نجد الأثر الوجودي للتقنية، إذ تتحول من أداة للحياة إلى أداة للموت والعزلة، هذا هو الوجه العدمي للتقنية الذي

¹-مارتن هايدجر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص41.

²-إسماعيل مهنانة، الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص112.

³-مارتن هايدجر، التقنية-الحقيقة-الوجود، مصدر سابق، ص62.

⁴ -Zimmerman.M.E.Heidegger on nihilism and technique, op cit.p411.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

يحذر منه هيدغر، حيث يُفقد الإنسان صلته بذاته وبالأخر، ويصبح وجوده مهدداً بانعدام المعنى والتجذر لقوله (إن التقنية بعدما كانت وسيلة للتطور و الازدهار وأداة في يد العقل، لإعلاء الحياة، أصبحت فجأة أداة تعمل من أجل الموت والخراب، وذلك لأن كل واحد أصبح يقلق، يخاف، ويعدم لوحده، حتى الموت)¹.

يرى هيدغر أيضاً ويشير إلى أن التقنية ليست أدوات بل انكشاف عدمي مُستمر للوجود، هذا الحدث التقني هو طريقة جديدة لرؤية العالم، تقصي الحقيقة وتقرض الشيء الشامل، مما يحقق العدمية التي نبه إليها نيتشه (ماهية التقنية ليست شيئاً تقنياً، وهي كذلك ليست مفهوم فلسفي مجرد، الماهية هي ما يدوم في الزمن أي ما يحدث، إن ماهية التقنية هي حدوثها)²، هيدغر يقلب العلاقة بين الظهور وأساس الظهور، التقنية، باعتبارها نمطاً للانكشاف، تدّعي أنها تضيء الواقع لكنها تتجاهل أساس الانفتاح الذي يجعل الرؤية ممكنة، التقنية تقفز إلى الاكتشاف دون أساس أنطولوجي، ما يجعل كل اكتشاف عديم المعنى الأصيل صورة نيتشوية للعالم بلا أسس لقوله: (الانفتاح يصبح بفعل الضوء مرئياً لكنه لا ينشأ أصلاً بفضل الضوء. إن الانفتاح هو شرط إمكانية تجربة الضوء وليس العكس)³.

يكشف هيدغر عن أخطر تجليات العدمية التقنية، التحول إلى فكر حسابي، أي فقدان عمق التفكير وتراجع العلاقة بالكينونة، الإنسان يصبح أداة وسط الأدوات، منزوع الحرية والتأمل، ما يجعل التقنية ذروة العدمية المعاصرة ("إن معنى خطورة التقنية هو أنها تجعل من فكر الإنسان مجرد فكر حسابي بل أن التقنية تعفي الإنسان من التفكير الأصيل)⁴، هذا

¹-إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، مرجع سابق، ص 118.

²-إسماعيل مهنانة، الوجود والحدث هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص112.

³-مارتن هايدغر، كتابات أساسية، مصدر سابق، ص40.

⁴-لكحل فيصل، مهمة الفلسفة إزاء المجتمع والتقنية والكائن، مرجع سابق، ص279.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

التصريح يربط التقنية بالعدمية بشكل جوهري، التقنية لا تظهر إلا حين يُمحي الحضور الوجودي

بهذا المعنى، التقنية ليست مجرد أداة، بل لحظة تاريخية في سير العدمية، حيث يتم نفي كل معنى غير قابل للقياس أو التشغيل (أي أنه فقط في عصر العدمية الأصيلة أو الإخفاء التام للوجود، يمكن أن ينشأ عصر التقنية)¹، هنا تتجلى التقنية كمشروع عدمي شامل، لا يقتصر على الأدوات أو الاقتصاد، بل يمتد إلى التحكم في جوهر الإنسان ذاته، هذه السيطرة الكلية تمثل ذروة العدمية، حين يصبح الإنسان نفسه مادة قابلة لإعادة التشكيل، لا ككائن واع بل كمنتج بيولوجي (لم تؤثر فقط على الوجود بتحديد لها لكينونة هذا الإنسان، بل وصلت إلى ذروة أين أصبح النقاش فيها يمس حتى الجانب البيولوجي ومشكلة الوراثة)²

خاتمة الفصل.

في نهاية هذا الفصل، يمكن القول أن هيدغر لم يكتف بانتقاد العدمية من نفس الزاوية التي انطلق منها نيتشه، بل عمق المسألة وربطها بجوهر الوجود نفسه، فقد كشف أن العدمية ليست فقط أزمة قيم وأخلاق، بل هي نتيجة لنسيان الكينونة منذ بداية الفكر الغربي، التقنية، والعلم، وحتى الفلسفة شاركت في هذا النسيان، فصار الإنسان ينظر إلى العالم كمجرد مورد يُستغل، بدل أن يفتح على معنى الوجود، وهكذا فإن العدمية عند هيدغر ليست مجرد ظاهرة ثقافية أو أخلاقية، بل هي مصير يهدد الكائن في علاقته بأعمق ما فيه، كينونته.

¹ -Zimmerman.M.E.Heidegger on nihilism and technique. op cit.p411.

² -إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتين هيدجر، مرجع سابق، ص 118.

الفصل الثاني: القراءة الهدغرية لفلسفة نيتشه

الفصل الثالث

دروب الخروج من العدمية أو مناحي استذكار الكينونة.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

تمهيد

يُعدّ التمييز بين الفكر والفلسفة عند هايدغر مدخلاً جوهرياً لفهم تحوُّله الفلسفي الجذري، لا سيما في مشروعه التفكيكي للميتافيزيقا الغربية، فبينما ظلّت الفلسفة، منذ أفلاطون، تسعى نحو الحقيقة عبر نسق المفاهيم، يعتقد هايدغر أن هذا المسار قد انحرف عن جوهر السؤال الفلسفي الأصيل، وهو سؤال الكينونة، ومن هنا ينبثق فكره كتجربة جديدة في الإصغاء إلى الوجود ذاته، لا كمجرد تصوّر عقلي، بل كحدث يتطلب تفكيراً مختلفاً، متحرراً من إرث الميتافيزيقا ومن أسر اللغة التقنية.

المبحث الأول: الفكر الأصيل في مواجهة الفلسفة

يرى هايدغر أن الفكر الحق لا يتمثل في تشغيل العقل ضمن نسق منطقي أو مفهومي، بل في الإصغاء لما يكشفه الوجود، إنه محاولة لإنصات الكينونة كما تمنح نفسها، لا كمفهوم، بل كحدث (إن الإنسان هو بالأحرى، ذاك الذي ألقى به من قبل الوجود ذاته، في قلب حقيقة الوجود، لكي يرضى، كتواجد منفتح، حقيقة الوجود ولكي يتجلى الموجود كما هو في نور الوجود)¹، يؤكد هايدغر أن الفلسفة في جوهرها لا تتقدم، بل تعود إلى ذاتها في حلقة مفرغة، ما لم تتجاوز التصور الميتافيزيقي للموجود (الفلسفة لا تتقدم حين تصغي "تستجيب" لماهيتها، إنها تخطو في عين المكان لتتمكن من التفكير باستمرار في ما هو عينه)²، كذلك الفينومينولوجيا، رغم أهميتها، لم تكن عند هايدغر سوى محاولة أولى للاقترب من الوجود، لكنها بقيت حبيسة مفاهيم الوعي والعقل (تعود الجاذبية التي أثارتها الفينومينولوجيا لهوسرل نتائج مضادة للتاريخ ومعادية للميتافيزيقا اعتماداً على الشعار القائل "تعود الأشياء لذاتها"، وناضل هايدغر الذي "بقي ظاهرياً في المسلك الذي اتبعته الميتافيزيقا"، في سبيل تجاوز

¹-مارتن هايدغر، رسالة في النزعة الإنسانية، ترجمة مينا جلال، مجلة مدارات، مجلة الجمعية الفلسفية المغربية، العدد

13، 2005 ص57.

²-المصدر نفسه، ص60.

الفصل الثالث: —دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

الميتافيزيقا)¹ وبالتالي، فإن الفكر حين يُمارس بوصفه تمثيلاً للموجود فقط، يبقى عاجزاً عن بلوغ حقيقة الوجود، لأن ما يُفكر فيه هو الكائن لا الكينونة (الفكر حين يتمثل الموجود كموجود، يستند من دون شك إلى الوجود، غير أنه في الحقيقة، لا يفكر دوماً سوى في الموجود بما هو، وليس أبداً في الوجود بما هو)².

هيدغر يفصح تاريخ الميتافيزيقا الغربية بوصفه نسياناً للوجود، إذ ظل العقل منشغلاً بالكائنات ومفاهيمها، دون أن يسأل عن الكينونة ذاتها (الميتافيزيقا هي نسيان للوجود وهذا يُقصد به: تاريخ تحجب وانقطاع أو تراجع منح الوجود)³، وإذا كانت اللغة وسيلة تفكير في التقليد الفلسفي، فهي عند هيدغر بيت الكينونة، أي المجال الذي يكشف فيه الوجود عن نفسه (إن الكلمات واللغة ليست أغطية وأغلفة لهؤلاء الذين يكتبون و يتكلمون، بل من خلال وسطها وسيقها، بالأحرى، تنبثق وتأتي الأشياء أولاً إلى "الوجود")⁴، وهنا تصبح الحاجة ملحة إلى لغة جديدة للفكر، تتجاوز الخطاب الميتافيزيقي، وتكون قادرة على استضافة الكينونة بصمتها وغموضها (يمكننا أن نسأل فيما إذا كان من الممكن، وجود لغة للتفكير تتحدث ببساطة اللغة على نحو تصنع فيه لغة التفكير بدقة حدوداً للغة الميتافيزيقية)⁵، هذه اللغة تنبثق من الإنصات لحدث الكينونة فلا يُمنح دفعة واحدة، بل يظهر ويختفي، ويستدعي تفكيراً من نوع آخر (فجوة وخرق وصدع يتجسد من خلالها الوجود في الموجود ويمكنه من ثم أن ينفتح وينفض ويتبدى، إنه حادثة أو حالة بحد ذاتها، سقوط بين أي حادثة وحالة من خلالها وعلى حين غرة

¹—حنه آرنت، حياة العقل الجزء الأول: التفكير، ترجمة نادرة السنوسي، ابن النديم لنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، ط1، 2016، ص20.

²—مارتن هايدغر، رسالة في النزعة الإنسانية، مصدر سابق، ص57.

³—مارتن هايدغر، في الشيء الذي يخص التفكير، ترجمة وتعليق وعد الرحبة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2018، ص61.

⁴—مارتن هايدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، ترجمة عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص9.

⁵—مارتن هايدغر، في الشيء الذي يخص التفكير، مصدر سابق، ص74.

الفصل الثالث: —————دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

تخرج وتتبدق القوى غير المقيدة للوجود إلى السطح وتتجز وتتحقق كتاريخ¹، يتجلى ذلك أيضاً في نظرته إلى الزمن لا كمقياس فيزيائي، بل كقوة إنكشافية تُثير الحاضر و تستدعي الإنسان إلى التفكير في مصيره (تظهر لنا هذه الحكمة، حيث يقع فهم زمنين نحويين للوقت، وللماضي والحاضر، مثل القوى المتوفرة التي تنبلج في الحاضر الراهن)².

لكن الفكر الحديث، كما يراه هايدغر، انحرف عن هذا الطريق، حين جعل من اللغة أداة تقنية تفرغ الأشياء من معانيها وتحولها إلى وظائف (كان الفكر في البداية، في شكل لوغوس أو خطاب، نعتبه مبلغاً للحقيقة أو للذات الحقيقية، بينما تتحوّل اللهجة في النهاية في اتجاه ما هو متوفر للإدراك ونحو الآليات التي تمكنا من شحذ وتعميق الحواس)³، ولهذا يذكّرنا بالسؤال الأصلي الذي أهملته الميتافيزيقا: لماذا يوجد الموجود بدلاً من لا شيء؟ وهو سؤال يكشف هشاشة الفكر الذي يكتفي بالأجوبة الجاهزة (هذا السؤال لماذا كان وجود الموجودات بدلاً من العدم؟ هو السؤال غير القابل للمقارنة بالمرة مع أي سؤال آخر)⁴، وفي قلب هذا السؤال، يقف الإنسان بوصفه كائنًا فانيًا، لا يمتلك الحقيقة، بل يسكنها مؤقتًا، ويكشفها عبر وعيه بموته وتناهيه (الحقيقة الإنسانية مرتبطة بتناهيها، نحن نعرف هذا بوصفه خبرة الظلام، ظلام نقف فيه ككائنات مفكرة ونُرجع إليه كل ذلك الذي نخرجه للنور، نحن نعرفه كظلام منه خرجنا وإليه نعود)⁵.

ومع غياب الآلهة في العصر الحديث، لم يعد بإمكان الفكر أن يجد المعنى في السماء، بل في إمكان إقامة وجود جديد على الأرض، عبر الشعر (إن تأسيس الوجود يرتبط بعلامات

¹ -مارتن هايدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، مصدر سابق، ص 452.

² -حنة آرنت، حياة العقل، مرجع سابق، ص 271.

³ - مرجع نفسه، ص 20.

⁴ -مارتن هايدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، مصدر سابق، ص 23.

⁵ -هانز جورج غادامير، طرق هايدغر، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،

ط1، 2007، ص 387.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناجي استذكار الكينونة

الآلهة، لكن الكلام الشعري ليس سوى تأويل "صوت الشعب" ويطلق هولدرن هذه العبارة على الاساطير "الخرافات" أما الشاعر فيقف في الحيز الوسطي بين تلك، (الآلهة) وذاك (الشعب) إنَّ الإنسان يحيا شعرياً على هذه الأرض¹ ذلك لأن الشعر، على عكس الفلسفة، لا يطارده الحقيقة بمفاهيم صارمة، بل يحتضن غموضها، وينسج اللغة حول انكشافها الجزئي (لكن من أين لنا أن نعثر على مثل هكذا مفهوم؟... المنطق هو علم التفكير، إنه مذهب قواعد التفكير وقوانينه، وهو صيغ التفكير وصورها)²، ويعود هيدغر في نقده للفلسفة إلى أصل اللوغوس نفسه، الذي لم يكن يوماً منطقاً صورياً، بل كشفاً للأشياء عبر الكلمة والصوت (المنطق هو في الواقع، شكل مختصر لكلمة اللوجيك (logike)، علم اللوغوس... (logos) اللوغوس يفترض أن يكون مذهباً في الكشف والبيان)³

من هنا، لا يمكن فصل أزمة العدمية عن هيمنة التقنية الحديثة، التي جعلت من الفكر خادماً للتنظيم والسيطرة، لا للتساؤل والإنصات (لا يمكن إذن فصل العدمية عن التقنية)⁴.

المبحث الثاني: الفن والشعر كآخر ملاذ للتحرر من أهوال العدمية

في مواجهة العدمية الحديثة، التي تعني فقدان القيم العليا وتحول الكائن إلى موضوع تقني، لا يبحث هيدغر عن حل أخلاقي أو عقلائي، بل يتجه نحو الفن والشعر بوصفهما الإمكان الأصيل لانكشاف الحقيقة، فالفن لا يقدم تصوراً عن الوجود، بل يكشفه في توتره وانغلاقه، في تضاده مع العدم لا في تجاوزه، وهيدغر يرى أن العمل الفني لا يُقيم حقيقة

¹ -مارتن هيدغر، إنشاء المنادى قراءة في شعر هولدرن وتراكل، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص67.

² -مارتن هيدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، مصدر سابق، ص388.

³ -مصدر نفسه، ص388.

⁴ -إسماعيل مهنانة، الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص119.

الفصل الثالث: —————دروب الخروج من العدمية أو مناجي استذكار الكينونة

نهائية، بل يفتح فضاءً تظهر فيه الحقيقة كصراع بين العالم والأرض، بين الانكشاف والإخفاء أما الشعر، فيرتقي إلى أفق التأسيس الكينوني للغة ذاتها، بوصفه تسمية أصلية للموجودات، ووسيطاً بين الإنسان والمقدس، في هذا المبحث، نحلل كيف يتحول الفن والشعر عند هيدغر إلى وسائل للإنصات إلى الكينونة، وللتحرر من الفراغ العدمي الذي يفرضه العصر التقني.

لم يعالج هيدغر العدمية عبر أدوات المنطق أو الأخلاق، بل فتح طريقاً مختلفاً تماماً قوامه العودة إلى الفن والشعر كمجالين لا يخضعان للنفعية أو المفاهيم الجاهزة، فالفن عنده ليس تمثيلاً ولا نسخاً، بل لحظة انكشاف للحقيقة نفسها، حيث تُقام علاقة توترية بين الظهور والخفاء (عندما يقيم العمل الفني عالماً وتنتج الأرض، فإن في ذلك تحريضاً على النزاع، ولكن ذلك لا يحدث، لأن العمل الفني يحول النزاع إلى خيط من التوافق ويزيل النزاع في آن واحد، وإنما ليبقى النزاع نزاعاً، العمل يحقق هذا النزاع)¹، لا يعني هذا النزاع وجود صراع بين أطراف خارجية، بل صراع داخل الحقيقة نفسها بين الظهور والتواري، وهو ما يضمن لها ديناميتها الوجودية (لذلك فهذا الوسط المفتوح، الذي لا يحيط به الموجود، وإنما الوسط المضاء نفسه هو الذي يحيط بكل موجود كالعدم)².

الحقيقة، بهذا المعنى، لا تُختزل إلى مضمون، بل تسكن مجالاً ينكشف عبره الكائن، لا بصورة نهائية، بل عبر حجاب يكشف ويخفي في آن، ولهذا لا يرى هيدغر الفن وسيلة للمعرفة، بل ساحة لانكشاف الأصل (فجوهر الحقيقة في حد ذاته هو النزاع الأصلي، الذي يقع فيه النزاع حول ذلك الوسط المنفتح، ينتصب الموجود في داخله ويعود منه إلى ذاته، فالعالم والأرض ينتميان إلى المنفتح)³، في هذا السياق، يُطرح العمل الفني كحدث يؤسس العالم ويفتح إمكانيات الإدراك، حيث الحقيقة لا تأتي بمعنى مطابق، بل كتجربة وجودية تُقحم الإنسان في

¹ -مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2003، ص109.

² -مصدر نفسه، ص115.

³ -مصدر نفسه، ص118.

الفصل الثالث: —————دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

ما لا يُقال (الحقيقة هي اللا-حقيقة ما دام الميدان الأصلي لم يتم الكشف عنه، أي عن الخفاء، الذي تنتمي إليه، فالكشف - بوصفه الحقيقة تكمن في الوقت نفسه "اللا- حقيقة" لمنع مضاعف)¹.

من بين أشكال الفن، يحتل الشعر عند هايدغر موقعاً خاصاً، لأنه يتعامل مع اللغة لا كأداة تواصل، بل كمسكن للكائن، فالشعر لا يقول، بل يُصغي لما لم يُقل (لكن الشعر، ما دام هو الكلام الذي يُؤسس الباقي، واللغة هي أخطر النعم، فإنه هو أخطر الأعمال، وفي نفس الآن أوفر الأعمال حظاً من البراءة)²، وهذا يعني أن وظيفة الشاعر ليست تزويق القول، بل خلق لغة أصلية تستدعي الكينونة من غيابها، وتعيد تسميتها بأسماء جديدة تليق بها (الشعر هو اللغة الأولية لشعب تاريخي، فينبغي إذن، على العكس، أن تفهم ماهية اللغة ابتداء من ماهية الشعر)³، هذا النمط من اللغة هو ما يحرر الإنسان من هيمنة التقنية والمفاهيم الاختزالية، لأنه يمنحه إمكانية إقامة حرة في الوجود (الشعر لا يؤذي ولا يؤثر، وماذا يمكن أن يدعي خيراً من اللغة الخالصة أنه لا يتعرض لأية مخاطرة؟ وحين ننظر إلى الشعر بوصفه "أوفر الأعمال حظاً من البراءة" فإننا لا نكون __ بكل تأكيد __ قد أدركنا ماهيته بعد)⁴، فالشعر، بهذا المعنى، ليس ترفاً ثقافياً، بل تأسيس للكينونة ذاتها في العالم، حيث كل قول شعري هو إعادة تأسيس لما يبقى، أي لما يتجاوز الفناء (الشعر هو التسمية المؤسسة للوجود ولماهية الأشياء جميعاً، لا بواسطة كلام أياً كان، وإنما بالكلام الذي يضع كل ما يوجد منذ البداية موضع الكشف... فهو أخطر الأعمال، لكنه أوفرها براءة)⁵.

¹ -مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص127.

² -مارتن هايدغر، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ - هيلدرن وماهية الشعر، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز ومحمود رجب السيد، دار النهضة العربية، بيروت، 1964، ص با.

³ -مصدر نفسه، صفحة نفسها

⁴ - ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ - هيلدرن وماهية الشعر مصدر سابق ص146.

⁵ نفسه، ص 157.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناجي استذكار الكينونة

ولأن الشعر يُنشئ العالم، فإنه لا يكتفي بنقل الموجود، بل يخلق إمكانية حضوره عبر القول الشعري، الذي لا يُحاكي بل يُبدع (العرض من هذا النوع يعني التجهيز من أجل التدشين والتمجيد، لم يعد العرض يعني هنا مجرد وضع وأنى للعمل الفني في مكان التدشين يعني التقديس بمعنى أن المُقدس قد دشن في العمل المقام بوصفه شيئاً مُقدساً)¹، ويُمكن القول إن العمل الفني لا يتأسس على مادته الظاهرة فقط، بل على ما يُخفيه من توتر داخلي بين الظهور والانغلاق، مما يمنحه عمقه الخاص (يتأسس العمل الفني حينما تأخذ المادة الخام شكلاً له معنى في عالم الإنسان)²، هذا المعنى يُبرز التمييز المهم عند هايدغر بين العالم الذي يُشير إلى انفتاح المعنى، والأرض التي تمثل الحجب والمقاومة، وهذا الصراع هو ما يُقيم العمل الفني (العالم يطمح في سكونه فوق الأرض إلى العلو عليها، وهو لا يحتمل بصفته انفتاح ما هو مغلق، لكن الأرض بصفقتها المُخفية تميل إلى أن تضم العالم في ذاتها وتحفظ به في داخلها)³، ولعل خطورة الشعر تكمن في كونه ليس مجرد خطاب بل وسيط بين الآلهة والبشر، أي بين المطلق والزمني، وهذه هي مسؤوليته الوجودية (لكن ما يدوم يؤسسه الشعراء... الشاعر يسمي الآلهة ويسمي كل الأشياء بما هي عليه إن هذه التسمية لا تقتصر فقط على منح اسم لشيء يُفترض أن يكون معروفاً من قبل، ولكن الشاعر في قوله الكلام الجوهري إنما يدفع الموجود لأن يصبح مُسمى)⁴.

ومن هنا، لا بد من تحرير الشعر من التصورات الأدبية الضيقة، وفهمه كحركة تأسيس داخل اللغة ذاتها، حيث تتكشف الكينونة في أقصى درجات كثافتها (يشير هايدغر بدءاً؛ إلى أنه قد آن الأوان لكي نخرج الشعر من دائرة الدراسات الأدبية)⁵، إن التفكير نفسه، عند هايدغر،

¹ -مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص100.

² -إسماعيل مهنانة، الوجود والحدث هايدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص 125.

³ -مارتن هايدغر، أصل العمل الفني، مصدر سابق، ص108.

⁴ -مارتن هايدغر، إنشاء المنادى قراءة في شعر هولدرلن وتراكل، مصدر سابق، ص62.

⁵ -إسماعيل مهنانة، الوجود والحدث هايدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص131.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناجي استذكار الكينونة

لا يُفهم كعملية عقلية فقط، بل كحدث شعري، لأنه يتأسس على التذكّر والانصات لما تم نسيانه، أي الكينونة (السؤال هنا هو: ما الذي يعنيه التفكير؟ نحن نقول، مثلاً: "الإنسان يفكر، الإله يحكم ويسيطر على الكون هذان التعبيران الآخران تتم ترجمتهما على النحو التالي: "الإنسان يفكر، والإله يُنظم ويُرتب"¹، وبناءً على هذه الرؤية، يعيد هيدغر قراءة مفاهيم قديمة كاللوعوس، مُبَيِّنًا أن معناها لا يرتبط بالمنطق بل بالانكشاف، مما يعمّق العلاقة بين الفكر والشعر، ما الذي يعنيه "المنطق" حقاً؟ في الحقيقة إن اسم المنطق هو، في الواقع، شكل مختصر لكلمة علم اللوعوس، وكلمة "لوعوس"، هنا، تعني تعبيراً أو بياناً أو كشفاً²

وفي ضوء هذا التصور، تصبح اللغة بيت الكينونة، حيث يسكن الإنسان لا بالكلام اليومي، بل بالكلمة الشعرية التي تنقل الوجود من الخفاء إلى التفتح (إن اللغة هي الأرضية التي يقف عليها الوجود)³.

المبحث الثالث: الإنسان المتفوق، والإله الأخير

إذا كان نيتشه ينطلق من إعلان موت الإله بوصفه لحظة فلسفية حاسمة، فهي لا تعني مجرد نفي عقيدة دينية، بل تعني سقوط الأساس الميتافيزيقي الذي بُنيت عليه منظومة القيم الغربية، لقد فقدت الحياة معناها المفروض من الخارج، وأصبح الإنسان في مواجهة مباشرة مع وجوده المجرد من المرجعية، وهكذا تظهر صورة الإنسان الأخير، ذلك الكائن الذي لا يؤمن بشيء ولا يطمح إلى شيء، ويهرب من المعاناة والمغامرة نحو راحة سطحية مريحة تُخفي الفراغ الداخلي إن (ما الإنسان إلا حبل منصوب بين الحيوان والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود

¹-مارتن هيدغر، مدخل إلى الميتافيزيقا، مصدر سابق، ص 380.

²-مصدر نفسه، 383.

³-بوبر بوعزة، الفن والحقيقة قراءة في أعمال مارتن هيدجر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،

2018، ص 90.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناجي استذكار الكينونة

فوق الهاوية)¹، ولكن نيتشه لا يتوقف عند التشخيص، بل يتجاوز العدمية عبر اقتراح مشروع الإنسان المتفوق، لا بوصفه كائنًا مثاليًا، بل كعملية دائمة لتجاوز الذات، لتخطي الحيوانية دون السقوط في ثنائية الخير والشر، هذا الإنسان ليس نهايةً، بل عبورًا محفوفًا بالخطر، عبورًا إلى إمكانية جديدة للوجود (إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوته)²، في المقابل، يُصبح الإنسان الأخير نموذجًا للعدمية المقنعة؛ فهو لا يُنكر الحياة، بل يفرغها من المخاطرة والمعنى، يعيش نوعًا من القبول البارد بكل شيء، رافضًا المغامرة الوجودية، ولهذا فإن العبور نحو المتفوق يتطلب كسر هذه السكينة، والخروج من الراحة الزائفة.

لكن هذا التحول لا يكتمل إلا بإسقاط صورة الإله الأخلاقي، تلك السلطة العليا التي كانت تسجن الذات داخل نظرة رقيبة مشفقة ولكن مانعة، هذا الإله، وفق نيتشه، لا يمكن أن يبقى حيًا إذا أراد الإنسان أن يتحرر فعلاً (وعلى كل، فقد وجب على الإله أن يموت لأنه كان يحدق بعين نافذة لا تخفى عليها خافية)³، إن موت الإله ليس مجرد موقف نظري، بل لحظة ضرورية لتحرير الذات من عبء الفضيلة المفروضة، ومن هنا ينبثق الإنسان المحرر، الذي لا يتبع وصايا مسبقة، بل يخلق فضيلته من داخل تجربته الفردية

(أحب من لا يريد الاتصاف بعدد الفضائل، إذ في الفضيلة الواحدة من الفضائل أكثر مما في فضيلتين)⁴، في هذا الإطار، تُعاد صياغة العلاقة مع الذات، لم تعد الذات تُجلد باسم الكمال، بل تُحتقر بوصفها مادة أولى قابلة للتجاوز، بما يشبه مشروعًا داخليًا دائمًا لإعادة التشكيل (قل لي إن الإنسان محب لذاته، فأية درجة يجب أن تبلغ الأنانية لتتغلب على ما في الذات من صفات حقيرة)⁵، وفي عمق هذا الطرح، يلتقي نيتشه مع هيدغر في تصويره

1- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص8.

2- مصدر نفسه، ص6.

3- نفسه، ص224.

4- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص8.

5- المصدر نفسه، ص225.

الفصل الثالث: دروب الخروج من العدمية او مناجي استذكار الكينونة

للوجود كصيرورة، حيث لا يفهم الإنسان من خلال ماهيته، بل من خلال قدرته على خلق المعنى، التقنية هنا، كما يشير هيدغر، تكشف عن تحوّل الوجود إلى مجرد مستودع، بما في ذلك الإنسان نفسه.

(التقنية إذن كيفية من كفيات الوجود وشكل من أشكال الحقيقة، وما انتشار الآلات ونماذج التنمية، والتصاميم والمخططات وتطور أدوات التواصل، واكتساح الإعلاميات لكل الحقول إلا شكل من أشكال الحقيقة وكيفية من الكفيات التي يختفي فيها الوجود اليوم ليظهر كمستودع)¹، هذا التصور يُبرز العدمية بشكل مختلف، ليس فقط كنفي للقيم، بل كتحوّل الكائن الإنساني إلى مورد قابل للاستغلال، خاضع للعقل الأداتي، ولهذا تصبح إعادة التفكير في القيمة والمعنى ضرورية، لا بوصفها صفات جوهرية، بل كقوى تتمك الأشياء وتعيد تعريفها (هذا الشيء الآخر هو ما يطلق عليه نيتشه القيمة والمعنى، من حيث أن معنى الشيء هو علاقته بالقوة التي تتملكه، ومن حيث إن قيمته هي تراتب القوى التي تظهر فيه، فليست مسألة المعنى إذن هي مسألة الماهية)²، ومن هنا، تصبح الحقيقة نفسها محل مساءلة، إذ لم تعد مطابقة بين الفكر والواقع، بل إنتاجاً داخل منظومات السلطة والمعرفة، وهذا ما يجعل الفكر نفسه فعلاً سياسياً، يتحدى إنتاج الحقيقة المهيمن (سيصبح لكل مجتمع نظام معين للحقيقة وسياسة للمعرفة أي أنواع من الخطابات يقبلها ويسمح بتداولها وعملها على أنها خطاب الحقيقة)³، وفي هذا السياق، تبرز الإنارة عند هيدغر بوصفها تجربة وجودية، لا تقتصر على الكشف بل تميز بين أنماط الحضور؛ بين من يظهرون كآلهة، ومن يظلون في الظل كبشر عاديين (إن هذه الإنارة التي تجعل من بعض الحاضرين آلهة ومن البعض الآخر بشراً)⁴، وهكذا نكتشف أن الإرث المسيحي، رغم ما يعلنه هيدغر من تجاوز، ما زال يلقي بآثره الخفي على تفكيره،

1- عبد السلام بنعبد العالي، الفكر في عصر التقنية، إفريقيا الشرق، المغرب، 200، ص100.

2- المرجع نفسه، ص65.

3- عبد السلام بنعبد العالي، الفكر في عصر التقنية مرجع سابق، ص65.

4- بوبكر بوعزة، الفن والحقيقة قراءة في أعمال مارتن هيدغر، مرجع سابق، ص86.

الفصل الثالث: —————دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

فحتى الإله الأخير، بوصفه أفقاً للتفكير، ينطوي على أثر من التجربة اللاهوتية القديمة (لقد بقيت التجربة المسيحية تلقي بأطيافها على فكر هيدغر)¹، إنَّ العبور من الإنسان الأخير إلى الإنسان المتفوق عند نيتشه لا يمثل مجرد تجاوز أخلاقي أو فردي، بل تحولاً وجودياً جذرياً يعيد طرح السؤال حول المعنى، الإرادة، والقيمة خارج الأنساق الميتافيزيقية القديمة، فموت الإله هو لحظة ولادة إنسان جديد لا ينتظر الخلاص من الخارج، بل يصنع مشروعه من الداخل، من إرادة القوة لا من قانون أخلاقي كوني.

هذا المشروع يجد امتداده الأنطولوجي عند هيدغر، حيث يتحول الفكر من تمثيل العالم إلى إنارة الوجود، لكن في زمن التقنية، تصبح العدمية أكثر راديكالية، إذ لا تنفي المعنى فقط، بل تفرغه من الداخل، عبر تحويل الكائن حتى الإنسان الى مجرد مورد وظيفي، هنا تبرز الحاجة إلى نمط جديد من الفكر، لا يكفي بالنقد، بل يستنطق الحقيقة ذاتها من يصنعها.

فإذا كان نيتشه قد أعلن موت الإله كشرط للحرية، فإن هيدغر قد أعلن نهاية الفلسفة التمثيلية بوصفها الطريق الوحيد نحو الحقيقة كلاهما، بطريقته، يدعونا إلى تخطي العدمية لا برفضها، بل باجتراح إمكان جديد للوجود، إمكان لا يقوم على يقين ميتافيزيقي، بل على الصيرورة، التساؤل، والجرأة على إعادة ابتكار الإنسان من جديد.

خاتمة الفصل.

من خلال هذا الفصل، تبين لنا أن العدمية ليست مفهوماً مغلقاً أو ثابتاً، بل مساراً فلسفياً تطور من نيتشه إلى هيدغر، حيث انتقل من كونه أزمة قيم ومعنى إلى كونه سؤالاً أنطولوجياً حول الحقيقة والوجود، لقد حاولنا أن نبرر كيف أن هيدغر لم يتجاوز نيتشه بشكل كامل، بل اعتمد عليه وانطلق من نقده، ليعيد طرح العدمية بطريقة أعمق، وهذا الحضور النيتشوي في

¹-إسماعيل مهناة، الوجود والحادثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، مرجع سابق، ص236.

الفصل الثالث: —————دروب الخروج من العدمية او مناحي استذكار الكينونة

فكر هيدغر يظهر أن العلاقة بين الفيلسوفين ليست علاقة قطيعة، بل علاقة توتر وتكامل في آن واحد، وفي النهاية، فإن التفكير في العدمية يفرض علينا إعادة النظر في علاقتنا بالوجود، وفي مصير الإنسان في عصر يطغى عليه نسيان الكينونة.

خاتمة

بعد هذا المسار التحليلي الذي اجتهد في تتبّع حضور نيتشه داخل مشروع هيدغر، من خلال العدمية كنموذج إشكالي، يمكن القول إن هذا البحث قد فتح باباً على علاقة فلسفية معقدة، لا يمكن اختزالها في التأثير أو التبعية، ولا في القطيعة الكلية، بل إن هيدغر في أكثر قراءاته جذرية ظل دائماً يُصغي لنيتشه، حتى حين يعلن تجاوزه.

لقد كان نيتشه هو من فجر في الفكر الغربي لحظة موت الإله، وأعلن انهيار الميتافيزيقا، وبيّن كيف أن القيم الكبرى قد تحولت إلى فراغ وعدمية، لكنه لم يترك الإنسان في هذا الفراغ، بل اقترح تجاوزاً في صورة الإنسان المتفوق، بوصفه من يُعيد ابتكار المعنى من داخل الحياة، أما هيدغر، فقد رأى في نيتشه نقطة الذروة الأخيرة للميتافيزيقا، ومن خلاله فتح مشروع الخالص الذي لم يكن تجاوزاً له، بل تجاوباً معه داخل أفق جديد: أفق الكينونة بوصفها حدثاً مفتوحاً لا يمكن تمثيله.

تمّ توضيح كيف أن نيتشه مثّل، من وجهة نظر هيدغر، أعلى لحظات الميتافيزيقا، لا بصفته عدواً لها، بل بوصفه مكملها، فالعدمية عند نيتشه لا تعني فقط سقوط القيم، بل تكشف عن انتهاء صلاحية البنية الميتافيزيقية بأكملها.

أبرزنا كذلك كيف أن نيتشه لم يقف عند إعلان نهاية الميتافيزيقا، بل أعاد تعريف الحقيقة بوصفها تأويلاً لا تطابقاً، والقيم بوصفها إرادة قوة لا معايير مطلقة.

أيضاً بيّن كيف أن هيدغر يقرأ نيتشه في إطار تاريخ الكينونة، ويعتبره آخر من بقي داخل أفق نسيان الوجود، رغم عمق تفكيره، لذا كانت قراءته له محاولة لتفجير الميتافيزيقا من الداخل، هيدغر لا يكتفي بتفكيك الفلسفة، بل يدعو إلى فكر جديد يتجاوزها، فكر لا يمثل الوجود بل يُصغي له، وهو ما أسماه الفكر الآخر، الذي يبدأ من حيث تنتهي الفلسفة، أيضاً كشف عن العمق الذي يحتله نيتشه في خلفية المشروع الهيدغري، ليس فقط بوصفه مادة نقد،

بل بوصفه صوتًا خفيًا يستمر صده حتى في مراحل هيدغر المتأخرة فحتى حين يتحدث هيدغر عن التقنية، أو عن الإله الأخير، فإن نيتشه حاضر من خلال العدمية، من خلال صورة الإنسان الأخير، ومن خلال ضرورة إعادة تأسيس القيم.

لقد بينّا أن:

- إرادة القوة النيتشوية تتحول عند هيدغر إلى إرادة لتمكن الموجود، وهي الوجه التقني للعدمية الحديثة.
- الإنسان المتفوق يتحول إلى الإنسان المحرر، لا من أجل السيادة، بل من أجل الإصغاء إلى الوجود.
- موت الإله يتحول إلى انسحاب المقدّس، وهو ما يفتح سؤال الإنسان الإلهي بوصفه إمكانًا جديدًا للفكر.

فكانت العدمية هي نتيجة نسيان الكينونة، فإن الخروج منها لا يكون بفكر جديد بالمعنى المفهومي، بل بنمط آخر من الحضور في العالم، في هذا الإطار اقترح هيدغر ثلاث طرق مترابطة للانفلات من العدمية، تبين أن الفكر الأصيل ليس فلسفة جديدة، بل إنصات للكينونة، وقد تم تحليل مفهوم الفكر في أعمال هيدغر المتأخرة، وخاصة فيما الذي يُدعى تفكيرًا؟، حيث الفكر لا ينتج مفاهيم، بل يُذكر، يتذكر، يستقبل.

أيضاً كشف كيف أن الفن والشعر هما طريقا الإنقاذ من العدمية، لا لأنهما يقدمان معرفة أو قيماً، بل لأنهما يُبقيان الحقيقة في توترها الأصلي، بين الانكشاف والاحتجاب، بين العالم والأرض. لقد ظهر أن صورة الإله الأخير والإنسان المتفوق لا تعني العودة إلى أسطورة ميتافيزيقية جديدة، بل تأسيس أرض جديدة للمعنى، الإنسان بوصفه الشاعر، والمحاور للوجود.

لقد تبين من خلال هذا البحث أن العدمية لم تكن فقط موضوعاً مشتركاً بين نيتشه وهيدغر، بل كانت مسرحاً للعبور بين فلسفتين، فنيتشه، بوصفه هادم الأوثان، لم يكن ضد

القيم فقط، بل ضد طريقة إنتاجها، أما هيدغر، فقد رأى في تفكيك نيتشه دعوة لتجاوز أعمق، تجاوز الإنسان الميتافيزيقي نفسه، من خلال إعادة فهم الحقيقة، الوجود، واللغة.

وهكذا، فإن الحضور النيتشوي في فلسفة هيدغر ليس حضور فكرة أو تأثير، بل هو نقطة انطلاق لمعركة فكرية ضد العدمية، لا تنتهي ببناء نسق بديل، بل بفتح أفق للإقامة الحرة، الشعرية، في عالم انفتح مجددًا على الكينونة. في زمن الهيمنة التقنية والتشييء الكلي للوجود، تبقى هذه الأسئلة راهنة، وتبقى نداءات هيدغر المستتيرة بنداء نيتشه بمثابة تذكير عميق بأن الفكر لا ينجو إلا حين يصمت، ويُصغي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- مؤلفات مارتن هيدغر باللغة العربية:

- 1- _____، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرن وماهية الشعر، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز ومحمود رجب السيد، دار النهضة العربية، بيروت، 1964.
- 2- _____، نداء الحقيقة، ترجمة وتقديم عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، 1977.
- 3- _____، إنشاء المنادى قراءة في شعر هولدرن تراكل، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994.
- 4- _____، كتابات أساسية، ترجمة إسماعيل المصدق، المجلس الأعلى للثقافة، الجزء الأول، القاهرة، ط1، 2003.
- 5- _____، أصل العمل الفني، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولوا، ط1، 2003.
- 6- _____، السؤال عن الشيء، ترجمة إسماعيل المصدق، مراجعة موسى وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- 7- _____، الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة محمد مزيان، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، تونس، ط1، 1436، 2015.
- 8- _____، مدخل إلى الميتافيزيقا، ترجمة عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
- 9- _____، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير، ترجمه إلى الألمانية وعد علي الرحية، تقديم ومراجعة علي محمد اسبر، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2016.
- 10- _____، في الشيء الذي يخص التفكير، ترجمة وتعليق وعد الرحية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2018.

قائمة المصادر والمراجع

- 11- _____ ، مبدأ العلة، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 12- _____ ، التقنية-الحقيقة-الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- ب/ مؤلفات فريدريك نيتشه.
- 1- _____ ، العلم المرح، ترجمة وتقديم حسان بورقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1993.
- 2- _____ ، ما وراء الخير والشر، ترجمة جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 3- _____ ، هكذا تكلم زرادشت، ترجمها عن الألمانية علي مصباح، محفوظة لمنشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا)، ط1، 2007.
- 4- _____ ، في جينالوجيا الأخلاق، ترجمه وقدم له فتحي المسكيني، مراجعة محمد محبوب، منشورات دار ميناترا، تونس، ط1، 2010.
- 5- _____ ، نقيض المسيح، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، ط1، 2011.
- 6- _____ ، إرادة القوة، ترجمة وتقديم محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2011.
- 7- _____ ، عدو المسيح، ترجمة جورج ميكائيل ديب، ط2.
- 8- _____ ، أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

ثانيا: المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية:

- 1- الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هيدغر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، أغسطس 2008.
- 2- الشيكور محمد، في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نيتشه، منشورات الزمن، الكتاب الخامس والثلاثون الرباط، المغرب، 2013.
- 3- فوكو ميشيل، إرادة المعرفة، ترجمة جورج ابي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993.
- 4- غادامير هانز جورج، طرق هيدغر، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- 5- أحمد إبراهيم، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 1427هـ-2006م.
- 6- دريدا جاك، في الروح، هايدغر والسؤال، ترجمة عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- 7- فتحي علي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مقال ورد في مجلة الاستغراب، العدد الخامس، السنة الثانية، بيروت، لبنان، 2016.
- 8- أندلسي محمد، أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2015.
- 9- عطية، أحمد عبد الحليم نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 10- مهنانة اسماعيل، الكينونة واللاوعي، مقال في كتاب جماعي (من الكينونة إلى الأثر هايدغر في مناظرة عصره)، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ط1، 2012.

قائمة المصادر والمراجع

- 11- مهنانة اسماعيل، الوجود والحداثة هيدغر في مناظرة العقل الحديث، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 1433هـ-2012م.
- 12- دولوز جيل، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمرا، ط1، 1414هـ-1993م.
- 13- الزواوي بغورة، ما بعد الحداثة والتتوير موقف الأنطولوجيا التاريخية دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، كانون الثاني (يناير)، 2009.
- 14- مفرج جمال، فريديريك نيتشه، الفيلسوف النائر، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2003-1993.
- 15- آرنست حنه، حياة العقل الجزء الأول: التفكير، ترجمة نادرة السنوسي، ابن النديم لنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، ط1، 2016.
- 16- سيوران، مثالب الولادة، ترجمة آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2015.
- 17- ياسبرس كارل، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة جورج صدقني، الناشر مكتبة أطلس، دمشق.

ثالثا: المجلات والدوريات

أ: باللغة العربية:

- 1- فيصل لكلل، مهمة الفلسفة إزاء المجتمع والتقنية والكائن، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، العدد 10، ديسمبر 2016.
- 2- علي فتحي، هيدغر ونهاية الفلسفة، مقال ورد في مجلة الاستغراب، العدد الخامس، السنة الثانية، بيروت، لبنان 2016.
- 3- مارتن هايدغر، رسالة في النزعة الإنسانية، ترجمة مينا جلال، مجلة مدارات، (مجلة الجمعية الفلسفية المغربية)، العدد 13، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

ب: باللغة الأجنبية:

1-Zimmerman.M.E. *Heidegger on nihilism and technique*.

November1975. <https://doi.org/10.1007/BF01256736>.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
/	شكر و عرفان
/	الإهداء
أ	مقدمة
الفصل الأول فريدريك نيتشه ومظاهر العدمية في التراث الفلسفي الغربي	
09	المبحث الأول: نقد التراتبية الأخلاقية بوصفها عدمية
20	المبحث الثاني: نقد اللاهوت المسيحي بوصفه عدمية
30	المبحث الثالث: نقد النموذج المعرفي بوصفها عدمية
الفصل الثاني القراءة الهيدغرية لفلسفة نيتشه	
40	المبحث الأول: تجاوز الميتافيزيقا بين النقد الانتشوي والقراءة الهيدغرية
51	المبحث الثاني: العدمية وتاريخ نسيان الكينونة
60	المبحث الثالث: التقنية بوصفها آخر قلاع العدمية المعاصرة
الفصل الثالث دروب الخروج من العدمية أو مناحي استذكار الكينونة	
71	المبحث الأول: الفكر الأصيل في مواجهة الفلسفة
76	المبحث الثاني: الفن والشعر كآخر ملاذ للتحرر من أهوال العدمية
81	المبحث الثالث: الانسان المتفوق والإله الأخير
85	خاتمة
89	قائمة المصادر والمراجع
95	فهرس الموضوعات